## الفصل الثانى

## فن التمثيل : ماهيته ، أهميته ، حكمه

- السينما فن جماهيرى خطير .
- التمثيل بين الإباحة والتحريم .
- الواقع السينمائى الحالى .
- فساد الوسط الفنى واعتزال البعض .
- ضوابط للرقابة على المصنفات الفنية .
- الحاجة إلى سينما إسلامية .
- السينما الإيرانية : تعرية النفس لا الجسد.
- موضوعات السينما الإسلامية .
- مواصفات الفنان المسلم .
- تمثيل المرأة .
- نحو مسرح إسلامى .
- التليفزيون وأثره .

# فن التمثيل
## ماهيته ، أهميته ، حكمه

**التمثيل** : هو تجسيد الواقع الاجتماعى ، والحدث التاريخى ،والمشاعر والأفكار ، عن طريق الممثلين ؛ لتأكيد المعنى المقصود وتوضيحه للمشاهدين .

إن التمثيل فن ، مثل كل الفنون ، يحاول أن يعطى معادلاً موضوعيًا للحياة، فهو يرمى إلى تجسيد قطعة من الواقع مكتملة ، وذات مغزى وبناء حدثى وشخوص، فى صورة جمالية تدعو إلى الانفعال بالعمل الفنى ، والتمثيل يقوم على تجسيد الأحداث من خلال قيام عدد من الأشخاص بالأدوار ، سواء على خشبة المسرح أو الفيلم التليفزيونى، وتقمص أشخاص من دم ولحم للأدوار المرسومة لشخوص وهمية، يتصورها المؤلف مكمن القوة والحضور فى الفيلم أو المسرحية ، ومنبع الانفعال والتأثير الكبير بين الممثل والمتفرج ، والتمثيل يرمى بذلك إلى تقديم عملى فنى « جميل » له قيمة، فى شكل ممتع ومؤثر وموجه، فهو فن ينبغى أن يتصف بالجمال الذى يضمن له التأثير فى نفس المتلقى ، ووظيفته لا تقف عند التسلية أو الترفيه أو أن يكون نوعًا من الزينة والزخرف ، فلا بد أن يحقق وظيفة اجتماعية وحضارية ،ويكون فى نهاية الأمر أداة للبناء الاجتماعى والرقى الحضارى (١) .

وقد ظهرت السينما،ونمت وتطورت تطورًا سريعًا متتابعًا فى مدة وجيزة من الزمن ، إذا ما قورنت فى تطورها بالفنون الأخرى ، ومع ذلك فقد طغى انتشارها على سائر هذه الفنون .

ويرجع تفسير هذا الانتشار السريع فى جانب منه، إلى كثرة وتنوع العاملين فى المجال السينمائى من كُتَّاب وأدباء ومؤلفى نصوص تمثيلية ، وممثلين وفنيين وعاملين ومخرجين ومنتجين ، ومن جمهور ونقاد ومؤرخين .

وقد ورد فى إحصائية صادرة عن منظمة « اليونسكو » ـ التربية والعلوم والثقافة ـ عام ١٩٩١م فيما يتعلق بالإنتاج العالمى للأفلام السينمائية ، أن عددها بلغ حوالى ٤١٧٠

(١) محمود النجيرى : مجلة الوعى الإسلامى ، عدد (٣٤٤) ، ربيع الآخر١٤١٥هـ ص ٦٩ .

فيلمًا عام ١٩٧٠ م، تتوزع بين الدول المتقدمة بنسبة ٤٨ ٪، والدول النامية بنسبة ٥٢٪ ، وعلى الرغم من زيادة نسبة إنتاج الدول النامية للأفلام السينمائية ، إلا أن هذه الزيادة لم تكن ذات مغزى تصحيحى لميزان الاختلال وعدم التوازن بأية حال من الأحوال ، فعدد مقاعد السينما المتاحة لكل ألف من السكان حسب إحصائيات ١٩٨٩م يبلغ ٥٠ مقعدًا فى الدول المتقدمة ،مقابل ٦,٩ مقعدًا لكل ألف من السكان، بالدول النامية ،مع ملاحظة أن عدد مقاعد السينما لكل ألف من السكان قد انخفض خلال الفترة من ١٩٧٠م حتى ١٩٨٩م بنسبة ٢٣,٣٪ فى الدول النامية ،مقابل انخفاض قدره ٦٪ فقط فى الدول المتقدمة ، وعلى الرغم من ذلك فإن حجم الحضور السنوى للسينما قد تزايد فى الدول النامية من ٣٦٦٠ مليونًا عام ١٩٧٠م، إلى ٦٥٥٠ مليونًا عام ١٩٨٩م ، بينما انخفض فى الدول المتقدمة من ٨٦٤٠ مليونًا عام ١٩٧٠م إلى ٦٦١٠ مليونًا عام ١٩٨٩م، حيث ترتفع مصادر التسلية والترفيه فى هذه الدول .

إن الهدف الأول للسينما هو النفاذ إلى أعماق النفس الإنسانية ،قفزًا من فوق العقل الواعى، وإلى العقل الباطن أو اللاشعور ، حتى إن أكبر شركة عالمية سينمائية «ميترو » طلبت من عالم النفس « فرويد» أن يعمل معها، مقابل مائة ألف دولار - بأسعار ذلك الوقت - ذلك لأنها تعرف العلاقة بين الفن وعلم النفس . وما يحدث بالضبط يمكن أن نطلق عليه عملية « بذر المعلومات » فى ذهن المتلقى ، وهى عملية غير مرئية وغير محسوسة ؛ لأن ما يُزرع فى الذهن يكون غالبًا مقدمات منطقية خاطئة ،ما تلبث أن تنمو داخل الذهن ،وتختمر داخل شخصية المتلقى ، فتتلون بلون الشخصية المزروع فيها المعلومات ، مما يجعل المتلقى لا يفطن إلى أن هناك أيدى بذرت داخل عقله ووجدانه «معلومات بذرية » فى شكل مقدمات منطقية، قد تظل « كامنة » فى غيابات العقل الباطن لسنوات عديدة،ولكنها لا تلبث أن تظهر فى صورة سلوك واضح، كما لو كانت تنبع من داخله، وليست من صنع أشخاص برمجوا عقله ووجدانه .

وقد يتساءل البعض: كيف تتم عملية البرمجة أو « بذر المعلومات » فى عقلى ووجدانى وأنا أجلس أمام الفيلم فى كامل قواى العقلية الإدراكية ؟! فأين عقلى إذن؟!

والإجابة : إن السينما تقفز فوق حواجز العقل لتصل إلى العقل الباطن أو اللاشعورى،ولعل من المناسب تذكُّر عبارة المنتج السينمائى الإيطالى كارلوبونتى: « يجب أن تصل السينما إلى أحشاء المتفرج ، أما إذا وصلت إلى عقله، فذلك يعنى أن الفيلم سيئ،فالإنسان الذى يريد تثقيف نفسه لا يذهب إلى السينما،وإنما يأخذ كتابًا » ،وهكذا نجد فلسفة السينما واضحة فى هذه الكلمات .

## السينما فن جماهيرى خطير

يلعب الفن دورًا رئيسًا فى تشكيل أخلاقيات الشباب ،ونظرتهم إلى الحياة والناس، وحكمهم على الأوضاع الراهنة ، والمستقبل أيضًا ،وتقف السينما فى مقدمة أدوات التأثير الجماهيرية ، وكذلك الفن التمثيلى عمومًا ، وقد يكون هذا التأثير أعمق أثرًا ، وأبعد مدى من مناهج التربية والتعليم ، بل ربما يحدث بين الاثنين نوع من التناقض والتضاد ، ودلك لغياب الخطة الشاملة الخاصة بتربية الجيل ، وتوجيهه الوجهة الصحيحة ، ومن ثم أصبح رجال التربية والتعليم فى واد ، ورجال الفن فى واد آخر ، والمعروف أن الفن مزوَّد بمغريات ومشهيات كثيرة ، تجعل الإقبال عليه أكثر ، والتأثر به أكبر . وهذا الحكم العام لا يعنى اتهام الفن اتهامًا مطلقًا وإدانته فى موجات التحلل والانحراف ، ففى الفن يختلط الجيد بالردىء ،والمفيد بالضار ،والحقائق الصادقة بالتُرَّهات الخادعة ، ويمتزج السُّم بالدسم [1] .

وفى ثلاثينيات القرن الماضى زار الرئيس الأمريكى « روزفلت » استوديوهات السينما فى هوليود ، واجتمع بصناعها وقال لهم : إذا أردتم لأمريكا الرفعة والمجد فاهتموا بالفيلم الأمريكى ، وكان ، وأصبح الفيلم الأمريكى أعظم فيلم فى العالم من الناحية التقنية والفنية ،وسفيرًا فوق العادة لأمريكا إلى العالم كله ، بحيث أصبح العالم يرى فى الفيلم الأمريكى أملاً يود لو يصل فى أفلامه التى يصنعها إلى مرتبته ،وبرغم كل ما يقال عن أفكار السينما الأمريكية ، إلا أنه أصبح من المسلَّمات أنها سينما واعية؛ تفهم ما تقول وتعنيه حقًا ، وارتاد الفيلم الأمريكى مجالات شتى ، واستخدمته أمريكا أداة طيعة لبث أفكارها فى وجدان وضمير الشعوب والتأثير عليها ، وكان ذلك بحشد إمكانات خيالية لإنتاج الأفلام ، فنحن نسمع عن الأفلام التى تتكلف ملايين الدولارات، والدراسات العلمية التى تعد للفيلم ، إلى غير ذلك من الرسائل التى تكفل للفيلم الأمريكى السيطرة على سوق الأفلام العالمية ،ويكفى للتدليل على ذلك أنه فى أغلب دور العرض ، وعلى شاشات التليفزيون فى العالم أجمع تعرض الأفلام الأمريكية ، بينما غيرها من الأفلام لا تعرض إلا بصعوبة ، وبعد اتفاقيات رسمية .

---

(١) د . نجيب الكيلانى : مجلة المختار الإسلامى ، عدد (١١) ،جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ، ص ٣٠ .

والسينما فن جماهيرى خطير ، وخطورته تتركز فى أن المشاهد يجلس فى قاعة مظلمة لعدد من الساعات مسلوب الإرادة ، مقتنعًا بأن الفيلم يخاطبه وحده ، ويسيطر على وجوده ، وبالتالى يسهل على صانعى الفيلم بث الأفكار والمعتقدات وطرق العيش التى يريدون الترويج لها فى وجدانه، فمن الناحية الداخلية تُستخدم السينما فى كشف عيوب المجتمع، ومحاولة الإيحاء بأن فى القضاء على هذه العيوب تقدمًا لهذا المجتمع ، كما تُستخدم السينما فى إثراء الوسائل التعليمية ، وليس من شك فى أن عرض فيلم عن موضوع أكاديمى ييسر فهمه، وهناك السينما الوثائقية التى تناقش المؤرخين فى تسجيل وقائع التاريخ ، وهناك السينما الدعائية التى تكرس نفسها للدعوة إلى اتباع نظام من الأنظمة ، كما أن هناك الأفلام الروائية ، وهى أخطر الأنواع ؛ لأنها ربما تضم بين جنباتها كل تلك الأنواع التى أسلفناها، والسينما ـ كما يقولون ـ فن العصر ،وهى أخطر وسائل التعبير ، وأشرس أدوات الإعلام والدعاية ، حيث يمكن أن تُستخدم فى تخدير الشعوب ، وصرفها عن أمانيها ، وذلك عن طريق إغراقها فى دوامة من أفلام الجنس والعنف ، لدرجة أن وصل الأمر إلى صناعة أفلام للشعوب المتخلفة والمقهورة لا يمكن عرضها داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وإلا عُدَّ ذلك استهانة بالشعب الأمريكى المتقدم [1] !

وبإلقاء نظرة فاحصة على أنماط السلوكيات والتصورات والأوضاع فى أى مجتمع ، نلحظ بغير عناء مدى مساهمة الفن السينمائى فى تشكيلها،أو التأثير فيها؛سلبًا أو إيجابًا.

وغنى عن البيان أن هذا التشكيل أو التأثير فى المجتمع لا تتضح معالمه ،ولا ترسخ جذوره فى وقت قصير ، وإنما تحدث المتغيرات الاجتماعية ويتغير نسيج المجتمع ، ويتلون بألوان شتى ،على مراحل متدرجة ، وتوصل مرحلة إلى مرحلة أخرى ، فى حركة بطيئة غير محسوسة غالبًا .

لذلك ، فإنه يتعين أن تتحلى الأجهزة المعنية برصد وتابعة هذه المتغيرات بقدر كبير من الوعى واليقظة ، حتى تستطيع أن تتدارك الموقف ، وتوجه دفة الأمور بعيدًا عن التشكيل الضار للعقل المسلم ، وتصل بالمجتمع المسلم إلى بر الأمان .

وخاصية النفاذ أو الاختراق يمارسها صانعو السينما فى شكل أشبه ما يكون

---

(١) محمود حفنى كساب. مجلة الأمة عدد (٣٥) ذو القعدة ١٤٠٣هـ ،ص٧٦ ، ٧٧ .

بـ «التنويم المغناطيسى » فالجو المظلم ، وتوزيع الإضاءة ، والتمثيل الطبيعى ، والمؤثرات الصوتية ، و« الماكياج والديكور » اللذان يقنعانك بأن ما يحدث حقيقى مائة فى المائة بالإضافة إلى استخدام « الكاميرا » بُعدًا وقُربًا،ومن زوايا مختلفة ،كل هذا إلى استخدام «المونتاج» والحيل السينمائية يولِّد لدى المشاهد حالة نفسية عقلية يمكن أن نطلق عليها « حالة تداعى القوى المنطقية » ، إذ إن الفيلم يوهمك ، بنمو بطل الفيلم من الطفولة وحتى الكهولة فى زمن لا يتعدى بضع دقائق ، كما يستطيع الانتقال بك من مشهد تجرى أحداثه فى القاهرة إلى آخر تجرى أحداثه فى نيويورك أو باريس ، ينتقل بك فى ثوانٍ ،وأنت حينئذ تجلس أمام شاشة العرض فى ذلك الجو الساحر، الذى يلفه الظلام والغموض ومشاعر هى أقرب لعالم الأحلام منها للواقع ، فتندمج فى أحداثها ، كأنك جزء منها ،وتساهم خاصية « التقمّص الوجدانى » فى ذلك الاندماج ، فتغضب من شخصية ، وتحبس أنفاسك هلعًا على شخصية أخرى ، كأن ما يحدث هو الحقيقة بعينها [1] !

(١) مجدى صلاح : مجلة الأزهر ، شعبان ١٤٠٤ هـ، ص ١٣٧٤ ـ ١٣٧٦ .

## التمثيل بين الإباحة والتحريم

أصبحت السينما خلال العقود القليلة الماضية أمرًا واقعًا ؛ من حيث تأثيرها وانتشارها ، لا ريب فى ذلك ؛ لذا فإن البحث الهادئ فى مدى مشروعيتها الإسلامية يُعَدُّ أمرًا لازمًا، بل واجبًا، وقد علمنا من الإسلام، أن الفقه الإسلامى فقه مرن فى تعامله مع الأمر الواقع والأوضاع المتجددة، ولا يعنى ذلك قبولاً أو «خضوعًا » أو « انهزامًا نفسيًا » أمام الأمر الواقع ، وإنما يعنى عدم الرفض المبدئى لهذه المستجدات ، بل يتعين محاولة فهمها فى إطار القواعد الكلية الأساسية للدين ، وفى هذه الحال ، إما أن نقبل هذه المستجدات، أو نرفضها و نطرحها جانبًا ، أو نعدلها ، أو نضيف إليها .

وقد انقسم العلماء إزاء التمثيل إلى فريقين : فريق إباحه مع ضرورة تقيده بالالتزام بتوجيهات الإسلام وآدابه وأخلاقه ، وفريق آخر منعه ورأى تحريمه مطلقًا ، ومن أهم ما استندوا إليه أنه بدعة ، وأن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبشىء قليل من التحقيق يبدو لنا أن هذا الاستدلال فى غير محله ، فقد دأب البعض إزاء كل جديد ومستحدث على وصفه بكونه « بدعة » ، وهذا تبسيط للأمور ؛ لأن البدعة شرعًا كما عرفها علماء الأصول هى :« طريقة مخترعة فى الدين ، تضاهى الشرعية ،يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه » .

وهذا المعنى لا ينطبق بحال على التمثيل ؛ لأنه مجرد وسيلة أو أداة ، قد تباح هذه الوسيلة إذا دعت إلى خير ، وقد تحرم إذا دعت إلى شر ، وإذا كان التمثيل قد ظهر فى الخلف ولم يعرفه السَّلَف ، فليس ذلك مبررًا لتحريمه ؛ لأننا لو سرنا على هذا المنوال فسوف نُحرم كل جديد نافع فى حياتنا ، فالسلف لم يعرف السيارة والطائرة ، والدبابة والبارجة ، والهاتف ، والحاسب الآلى . . . إلى آخر هذه المخترعات المفيدة ، فهل نُحرِّم ذلك كله استنادًا إلى فهم سقيم للنصوص ؟!

«وسر المسألة أن للمجتمع الإسلامى شخصية خاصة، وشخصية عامة، بل لكل مجتمع ذى دين شخصيتان: شخصية إنسانية عامة يشاركه فيها سائر المجتمعات الإنسانية، وهو- من هذا الجانب، وبتلك الشخصية - له وعليه أن يفكر فيما يصلح شأنه الإنسانى، ويجعله ذا

مركز فى الحياة يجارى به على الأقل ـ إن لم يسبق ـ سائر المجتمعات البشرية . . عليه أن يفكر فيما يلائم عصره من طرق التثقيف وخطط التعليم بما يوسع مدارك أبناء الشعب، ويصل بهم إلى الثقافة النافعة من أقرب الطرق وأيسرها، وليس له أن يجمد على ما ورث من ذلك عن آبائه وأجداده، ويقف مكتوف اليد دون أن يسلك طريق الاختراع والابتداع فيما يحقق له العزة والمجد من وسائل الحياة ، وإن كل ما يحدثه فى هذا الجانب من المخترعات التى لم يسبق بها يكون محفوظًا فى تاريخ العاملين على ترقية شعوبهم ، ويكون له فى الوقت نفسه من الثواب عند الله بقدر ما ينتفع العباد بمخترعاته .

وقد ترك الله فى شرعه هذا الجانب من الحياة للتفكير البشرى، ولم يقيده فيه بتشريع معين ، ولا أسلوب خاص، بل دعاه إلى التفكير والنظر فيما يصلح شأنه ، على حسب الإيحاءات الزمنية والوسائل العصرية المتبدلة المتغيرة ؛ ولعل ذلك هو المقصود بمثل قوله عليه الصلاة والسلام : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ؛ وإذن ليس لنا أن نقول عن شىء يقع فى هذه الدائرة: إنه لم يفعله الرسول، ولا أحد من خلفائه ، فلا نفعله؛ ذلك لأنهم لم يفعلوه لأن زمنهم لم يطلبه ، ولم تخلق لديهم بواعث عمله أو التفكير فيه، ومحال على الرسول وخلفائه أن يعترض تقدمهم فى الحياة شىء لا يمس عمله عقيدة ولا عبادة ، ولديهم وسائله والقدرة عليه، ثم لا يعملوه بحجة أن الله لم يأذن لهم فيه .

أما الشخصية الخاصة للمجتمع الإسلامى ، فهى الشخصية التى تحدد دائرتها العقيدة والعبادة ، وأصول المحرمات التى حظرها الدين؛ حفظًا للعقائد والأخلاق وحفظًا للعقول والأبدان ، وهى الأصول التى تلتئم منها الشخصية الإسلامية ، ولا تتحقق إلا بها ، وهذه الدائرة لا تتلقى أحكامها إلا من جهة الوحى ، بيانًا بالقرآن ، أو بيانًا بفعل الرسول التشريعى العام ، ولا يصح التصرف البشرى فيها ، لا بتغيير فى كيفيتها ولا بزيادة عليها ولا بنقص منها ، وهى الدين الذى أكمله الله لعباده .

وهذه الشخصية هى التى لا يُقبل فيها الابتداع بوجه من الوجوه ، فهى ـ بأحكامها الخاصة ـ المظهر الصادق للإسلامية التى يريدها الله، والمحافظة عليها هى السبيل الوحيد لبقائها وتمييز المسلمين بها ، ومن هنا كان الابتداع فى شىء منها خروجًا عن حدودها التى رسمها الله ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [ البقرة : ٢٢٩ ] » (١).

---

(١) محمود شلتوت : الفتاوى ، دار الشرق ، طبعة (١٢) ، ١٤٠٣هـ : ص١٨٢ ـ ١٨٤ بتصرف .

يقول الناقد السينمائى الأردنى حسان أبو غنيمة :«إن السينما كوسيلة اتصال جماهيرية تجمع ما بين العلم والفن والثقافة ، وكظاهرة اقتصادية لا يمكن التغافل عنها ، تظل على أساس مجرد ، مثلها مثل غيرها من وسائل العصر المتطورة، مرهونة بأسس استخدامها، لا بطبيعتها المجردة ، مثلها مثل العلم ذاته ،الذى يمكن استغلاله لصالح الإنسانية ولغير صالحها ،فالمسألة ليست مرهونة بالأداة ذاتها ،وإنما بمن يقف وراءها ، وهكذا الأمر بالنسبة للسينما ، فليس مهمًا الآلة السينمائية أو تقنيات هذا الفن الجديد ، وإنما الأهم هو الإنسان الذى يقف وراء هذه الآلة ، ويتعامل مع هذه التقنيات .

إن البِنَى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تقف وراء الفن السينمائى وتستخدمه لصالح أهدافها ،هى التى جعلت من السينما وسيلة لنشر الفساد وتدمير الأخلاقيات والقيم،مثلما جعلت منها أحيانًا صانعة الأكاذيب والأوهام، ومشوهة للحقائق والتاريخ والواقع . ولكن هذه المظاهر لا تنفى عكسها ، وهى إمكانية استخدام السينما لتكون وسيلة بناء لقيم الحق والخير والجمال .

وكما يتفق كثير من علماء المسلمين ومفكريهم ، فإن السينما ـ شأنها شأن غيرها من الفنون ـ مرهونة بالوظيفة التى تقدمها ،وبالأهداف التى تضعها نصب عينيها ، فإذا كان ما تقدمه يدعو إلى الخير والفضيلة فهى حلال،وإذا كان ما تقدمه يدعو إلى الفساد والرذيلة، فهى محرمة »(١) .

على أننا إذا كنا قد انتهينا إلى إباحة التمثيل السينمائى من حيث هو أداة ، فإن ذلك مرهون بشروط حتى تتأكد هذه الإباحة . . ومن ذلك :

ـ يجب أن يخلو العمل التمثيلى من كل ما يتعارض مع شعائر الإسلام وشرائعه ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وألا يتناقض مع القيم والأخلاق والآداب ، وألا يحتوى على ما يثير الغرائز أو يدعو إلى الانحراف بأية صورة .

ـ ينبغى ألا تُلهى مشاهدة الفن التمثيلى عن الالتزام بأداء فرائض وحق الله على العباد ، كأن تلهيه عن أداء صلاة أحد الفروض ، والله لا يبارك فى عمل يلهى عن الصلاة ، وكذلك ألا تشغله عن أداء واجباته تجاه نفسه وأسرته وعمله .

ـ ويجب على من يرتاد دور السينما والمسارح ـ التى تعرض أعمالاً فنية لا تتنافى مع

(١) نقلاً عن محمد وليد جداع : الموقف من سينما إسلامية ، دار الوفاء ، ط (٢) ،ص ٦٩ ، ٧٠.

التوجيهات الدينية ـ أن يتحاشى الاختلاط بين الرجال والنساء .

وعلى ذلك فإننا نُجمل ما فصلناه فيما سبق ، فنقول : إن الفن التمثيلى ليس إلا وعاء ، إذا وضعنا فيه شيئًا محرمًا ، فهو محرم بهذا الشيء ، وليس بذاته ، وإذا وضعنا فى هذا الوعاء شيئًا مباحًا ، فهو مباح ، أى أن أمر الإباحة والتحريم يدور مع مضمون العمل الفنى وكيفية معالجته ، وعلى هذا الأساس يتحدد الحكم . . وهناك مقولة جميلة للشيخ أحمد الشرباصى ، يقول فيها : « إذا تديَّن رجل الفن ،وتفنن رجل الدين ، التقيا فى منتصف الطريق لخدمة العقيدة والفن السليم » .

## الواقع السينمائى الحالى

إن نظرة فاحصة على واقع الفن التمثيلى المعاصر، تُظهر لكل ذى عينين أنه واقع يهدم ولا يبنى ، يخرب ولا يصلح ؛ وذلك نظرًا لما تحتويه مضامين الأعمال الفنية غالبًا من أخطار على الشخصية المسلمة ، هذا فضلاً عما تعج به الحياة الخاصة والعامة للعاملين فى المجال الفنى من موبقات يندى لها الجبين .

إن أفلام السينما كانت ـ ولازالت ـ أداة خطيرة لتوجيه أفكار الرأى العام نحو التهوين من الفضائل، وتحبيذ الرذائل وتقديم مبرراتها ،ونشر العرى والتحلل ،وإشاعة الفحشاء والمنكر ، وما يحدث فيها من حوار مكشوف يحمل إيحاءات جنسية فجة ، ومناظر العناق والتقبيل بين الممثلين والممثلات؛ مما لا يجوز إلا فى غرف النوم بين الأزواج والزوجات !!

ومن المدهش أننا نجد أحد أهم الممثلين المسؤولين عن هذه النوعية من الأفلام الساقطة ، وهو عادل إمام ، يذكر فى ندوة بأحد الأندية [1] : « إننى منعت أولادى من مشاهدة الأفلام الهابطة والمسفة التى تملأ دور العرض ،وتشكل خطرًا على الذوق والأخلاق ، والسبب فى الإسفاف فى السينما هو ندرة الكتابات الجادة والهادفة، مع تدفق الإنتاج الهابط » وشهد شاهد من أهلها !!

إن الفن السينمائى « خضع للعديد من الاعتبارات المختلفة ، فالناحية التجارية أخضعت القصة السينمائية لشروطها من حيث اختيار الموضوع، وطريقة الأداء ، وتلبية الغرائز والأحلام ، وما يتبع ذلك من إثارة وتشويق ومفاجآت ، مهما تعارض ذلك مع القيم والأخلاقيات الأصيلة التى هى جزء من تراثنا وحضارتنا .

إننا نرى مثلاً أن قداسة « الأسرة المسلمة » قد تعرضت لهجمة شرسة من الفلسفات والتصورات الغربية المنحلة ،فالزوجة التى تخون زوجها ، وتهمل أبناءها ، وتهجر بيتها، استجابة لنزوات طارئة ، أو بحجة الحرية فى اختيار « حبيب القلب » لأسباب تافهة ،والتمرد الأرعن على القيم والتقاليد ،بحجة التجديد والعصرية والتحرر ، وإهمال

(١) صحيفة الأحرار بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٦م .

الشعائر والآداب الدينية ، باعتبارها تخلفًا ورجعية ، والانسياق وراء العبث واللهو والخمر والسهر ومطاردة النساء ،والصراع الأحمق الوحشى من أجل الكسب المادى، قد أدخل إلى حياتنا ألوانًا شاذة من السلوك والتصورات، تحمل الكثير من الأضرار ، وتساعد على تمييع شخصيتنا والقضاء على تميزها وتفردها .

وما أكثر الشباب والشابات الذين يأخذون مثلهم العليا من فن السينما والمسرح، إنهم يرون الأبطال وهم يتحركون على الشاشة أو على خشبة المسرح ،وحياتهم كلها لذات ونزوات ،أو ما يسمونه ـ خطأ ـ بالحب ، ويرونهم يرتدون أفخر الثياب وأحلى الجواهر ، ويحققون ما يريدون، فيظن شبابنا أن الحياة على هذه الوتيرة من السهولة واليسر والإباحية وإشباع الرغبات ، فيدخل فى روعهم أن تلك الصورة هى الواقع، وأن ما يرونه حولهم خداع وظلم ، ومن ثم يتمردون ويسخطون ، ويبحثون عن أيسر السبل لتحقيق تلك الأحلام الوردية ،التى زوقها لهم ذلك الفن المخادع الذى يمالئ عواطف الشباب ، وينافقها ويسترضيها على حساب أعظم القيم وأنبلها .

وإذا كان الفن وثيق الصلة بالمجتمع، وانعكاسًا لواقع الحياة، فإن الأمر جد مختلف عندنا ، إنه أبعد ما يكون عن الحقيقة والواقع ؛ لأن فنوننا سقطت فى قبضة التقليد ، واستعارة الأفكار والقضايا الأجنبية ،ولم نستطع تقديم فن متميز محترم .

إن الأمر الذى يعجب له الإنسان أشد العجب، هو أن مهنة التعليم لها قيود ومواصفات ومؤهلات، أما الفن فقد تُرك له الحبل على الغارب، وأصبح عملاً سياحًا لكل إنسان وأهملت الرقابة، وتغلب الهدف المادى والترفيهى على الجوانب التربوية والأخلاقية والروحية، بل أصبح الفن والفنان مرتبطين فى أذهاننا بالتحرر اللامحدود، والتحلل الممجوج، وأصبح الفن نوعًا من المخدرات والمسكنات لتلك الجماهير المطحونة.

لقد صوَّر لنا الفن الحياة العصرية من جانبها المنحل ، فالزوجة تراقص رجلاً غير زوجها ، وتخاصره ويخاصرها ، واشتداد الأزمات معناه أن يهرع البطل إلى زجاجات الخمر كى يطفئ غضبه وقلقه ، وبخفف من حزنه وأساه ،والحرية أن تفلت الفتاة أو الفتى من رباط الأسرة ، وتنطلق على هواها تعاشر وتخالل ،والآباء والأمهات يظهرون دائمًا بصورة المتعنتين المتخلفين الذين يصادمون نواميس التطور ، والإسراف والإتلاف معناه الرجولة والشهامة والوفاء ، وارتكاب جرائم القتل واللكمات بطولة ، والعنف

والرعب الدموى فى أفلام مصاصى الدماء وسيلة للتعبير عن الذات ،وهى فى الواقع جوانب منحرفة شاذة،أبعد ما تكون عن طبيعة الإنسان السوى واتزانه النفسى ، مثل هذه الأمور أفرزت الانحرافات والشذوذ .

إن أبواب العالم الإسلامى مفتوحة على مصراعيها للفنون البذيئة المدمرة ،تفد إلينا من خلالها أفكار مشبوهة،وبعثاتنا التى نبعثها للخارج تعود وقد تشبَّعت « بالإثم الفنى»، وخلعت عنها رداء شخصيتها وأصالتها ، وعادت مسخًا مشوها ،يخدم مخططات خبيثة من حيث تدرى أو لا تدرى .

تلك هى الصورة الغالبة على فنوننا ، وهى صورة غير صادقة ولا تتفق مع واقعنا ومبادئنا ، حتى فى البلدان الإسلامية التى أقامت مؤسسات للفنون والآداب ، فاتتها هذه الحقائق الهامة ، وركزت على الترويج للمبادئ السياسية التى تكفل لها الأمن والاستمرار والاستقرار ، ولم تتناول النواحى الأخلاقية والاجتماعية التناول الصحيح ، فما دام الفن لا يمس النظام ولا يتعرض له بالنقد أو المعارضة فله أن يفعل ما يشاء .

تلك النظرة القاصرة انحرفت بالفنون إلى زوايا خطرة ، وبذرت بذور الفساد والتحلل والتمزق فى الكيان الاجتماعى ، وأخذت تفعل فعلها فى خبث ودهاء ، فى غيبة الوعى الصحيح ، وفى غفلة الضمير الحى الحر » (١) .

## نموذج للفن السينمائى :

عرضنا فيما سبق للواقع السينمائى الأثيم ، والحق أن من يتمعن فيه يجد أنه ترجمة حرفية للمخططات المسمومة لبروتوكولات « سفهاء » صهيون،حيث ورد فيها : « سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب لملء الفراغ ، وسندعو الناس للدخول فى مجالات شتى فى كل أنواع المشروعات ؛ كالفن والرياضة ومسابقات ملكات الجمال وغيرها، وسننشر بين الشعوب أدبًا مريضًا قذرًا تشمئز منه النفوس ، ويساعد على هدم الأسرة ، وتدمير جميع مقومات الأخلاق للمجتمعات المعادية لنا ، وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب وتشجيعه »

ونعرض فيما يلى لفيلم ، كنموذج على هذا الواقع الوبائى المتفشى فينا بأيدى أعدائنا ـ ومن خلال مخططاتهم ـ وبأيدى الغافلين منا .

---

(١) د . نجيب الكيلانى : مرجع سابق ، ص ٣٠ ـ ٣٤ بتصرف .

اسم الفيلم ـ النموذج « **يا دنيا يا غرامى** » إنتاج ١٩٩٦ م ، وندخل بك الآن إلى شاشة العرض .

« هذا الفيلم للبنات فقط (!!) من خلال ثلاث قصص متماسة، لثلاث فتيات صديقات من حى شعبى فقير ، يرغبن فى الزواج قبل أن يفوتهن قطاره السريع !! والفيلم يقدم للبنات الحائرات البائسات حلولاً سحرية ، فالشرف لم يعد مشكلة بعد تقدم الطب وعمليات « الترقيع » ، والزواج العرفى من ثرى هو الوصفة الأكيدة للسعادة الفائقة .

ولنعرض الشخصيات ، فناطمة ( لاحظ الاسم !!) تعمل بمصنع ملابس، وتتطلع للزواج من جارها « يوسف » اللص والنصاب ، الذى يتزوجها بعد خطبة طويلة ، وفى ليلة الزفاف يتم القبض عليه، ويُسجن لسرقته سيارة فارهة .

والثانية « نوال» بائعة فى محل زهور، لا تجد من يتزوجها بعد إصابة شقيق صاحبتها ـ وكان من المفترض أن يتزوجها ـ بلوثة عقلية، لعدم قدرته على التأقلم مع ظروف الحياة الشديدة القسوة، والإحباطات المتوالية التى يعانى منها معظم الشباب وخاصة الجامعيين، ثم فى النهاية تخضع للثرى« صاحب محل الزهور » فيتزوجها عرفيًا!

أما « سكينة » فهى حالة خاصة ، فقد كانت مخطوبة لشقيق فاطمة ، الذى أفقدها عذريتها بدعوى الحب ، ثم انضم لإحدى الجماعات « الإرهابية » وطالبها بترك أهلها وارتداء النقاب ليتزوجها فرفضت ، وعندما عرض زميلها فى العمل الزواج عليها ، صارحته بحقيقة الأمر فتركها ، فلم تجد أمامها إلا إجراء عملية « ترقيع » باقتراح من صديقتيها ، فاطمة ونوال ليتزوجها مدرس لغة عربية ـ ولا تسأل لماذا مدرس للغة العربية بالذات ؟! ـ وطبعًا لا يكتشف الأمر ، وتحيا « سكينة » سعيدة هانئة هى وزميلاتها ، فى دلالة موحية قابلة للتأويل من أى بنت تشاهد الفيلم وتبدأ فى مجاراة أحداثه الوردية ، إذ النهايات أثبت وأكثر استقرارًا فى اللاوعى من البدايات !!

وبانتهاء الفيلم ، وخروجنا من دار العرض ، نشرع فى تحليله ، فالفيلم من خلال الفتيات الثلاث تناول عددًا من القضايا المهمة والخطيرة ، أهمها قضية « فقد العذرية » و« الزواج العرفى » ، والتسطيح الفج لمشكلة « جماعات العنف والتطرف » ، التى لا

---

(١) د . نجيب الكيلانى : مرجع سابق ـ ص ٣٠ ـ ٣٤ بتصرف .

تُناقش إلا من خلال اللحى ، فى محاولة لإلقاء مسحة من البطولة المدعاة على أحداث الفيلم من خلال قضية قُتلت طرحًا ، حتى لو كانت هذه المعالجة مقحمة بشكل ذميم ، وتم تناولها بشكل زاعق يشكل عبئًا على العمل الفنى .

ثم قضية أخرى تكاد تتماس ـ أو بالأحرى تتكامل ـ مع قضية التطرف ، وهى الكم المبالغ فيه من الإحباطات والصدمات التى يعانى منها الشباب ، خاصة الجامعى بعد تخرجهم ، من عدم وجود عمل مناسب يوفر لهم موردًا كافيًا من الرزق ، يساعدهم على الزواج وبدء حياة مستقرة .

وما يريد أن يوصله الفيلم هو أن الشباب ، إما أن ينحرفوا ، أو ينضموا للجماعات المتطرفة ، أو يُصابوا بلوثة عقلية ، ولنتناول كلاً من هذه القضايا :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى  حتى يراق على جوانبه الدم

هذا البيت الأشهر يعبر ببساطة عن مكونات شعب يعتبر الشرف والعرض أهم من الحياة نفسها ، ويوقن فطريًا بأن « شرف البنت » مثل عود الكبريت لا يشتعل إلا مرة واحدة ،لكن فيلم « يا دنيا يا غرامى » ينسف هذا المعنى من الأساس،ويُقدّم بديلاً مفاده أن شرف البنت مثل « الولاعة » تشتعل كلما ضغطنا عليها ، كما جاءت العبارة الداعرة على لسان إحدى بطلاته؛ فى محاولة لإقناع « سكينة » بإجراء عملية ترقيع حتى تتزوج فى أمان.

هذا المعنى ذاته أكده مخرج الفيلم،إذ قال فى ندوة لمناقشة الفيلم:« لقد جرت العادة على قصر مفهوم الشرف على بكارة الفتاة،وأعتقد أن هذا مفهوم ضيق جدًا » ، فهى دعوة إذن لتوسيع هذا المفهوم ، فأى توسيع هذا ؟! فإن كنا نعلم يقينًا أن بكارة الفتاة ليست معيارًا حاسمًا فى عملية إثبات الطهارة والعفة، إلا أن الحالة التى يقدمها الفيلم شديدة الوضوح،بل صارخة،وهى أن هذه البنت «سكينة » قد مارست الرذيلة مع خطيبها،ونتج عن هذا هتك بكارتها ، فأى مفهوم للشرف يمكن أن يأتينا به المخرج بعد أن قدّم حالة شديدة الجلاء لا تقبل أى تأويل ؟! وهل الحل هو إجراء عملية ترقيع؟!

هذه هى الرسالة « السامية !! » التى يقدّمها الفيلم « للبنات »؛ ولذلك يوجه لهن الدعوة خصوصًا بعبارة مستفزة ؛وهى أن الفيلم « للبنات فقط » ، إذ إن فتاة ترفض

مخادعة زميلها فى العمل. وتصر على مصارحته بحقيقة أمرها قبل الزواج لا يمكن ـ ولعلماء النفس فى هذا قول ناجع ـ أن تحيا سعيدة مع رجل تزوجها : دون أن يدرى ما بها بعد أن أجرت عملية الترتيع ، ودلالة سعادتها فى زواجها ـ بعد ذلك ـ واضحة لا تحتاج إلى بيان !!

والفيلم يحفل بمشاهد العرى والإباحية ، ومن ذلك مشهد شغل مساحة كبيرة من الفيلم ، من خلال الشخصيات الثلاث المحورية فى الفيلم ، فقبل زواج فاطمة تذهب سكينة ونوال لمساعدتها فى الاستحمام (!!) وتبدأ المداعبات والمناوشات بينهن وهن عاريات ، بينما « الكاميرا الآثمة !!» تتحرك بشكل مُوَظَّف بين سيقانهن وأكتافهن ، بشكل يوحى للمشاهد بأنهن عاريات تمامًا ، وقد استمر المشهد لمدة مبالغ فيها ، هذا فضلاً عن أن المشهد ككل ليس له أى دور فى الفيلم ، ولا يفيد شيئًا فى الأحداث ، ولو تم حذفه لما شعر أحد بافتقاده ، إلا أن « الشباك » يفرض مشاهد وأحداثًا خاصة !!

ومن القضايا المراوغة التى عرضها الفيلم ، قضية التطرف والإرهاب من خلال شخصية خطيب « سكينة » وهى شخصية باهتة يبدو عليها من التنافر أكثر ما يبدو من الاتساق والانسجام ، وموضوع الإرهاب قُتل بحثًا من خلال السينما والمسرح والتليفزيون ، لكنَّ أحدًا لم يتناوله بهذه السطحية التى ظهرت فى فيلم « يا دنيا يا غرامى » ،ربما لأن القضية « حُشرت حشرًا » فى أحداث الفيلم ؛لإضفاء مسحة وطنية عليه ، وللتكريس ـ ربما .. لمفهوم مغاير للمعالجات المطروحة ، فى فيلم يستعرض عددًا من المشكلات والقضايا الحياتية شديدة التنوع ، وهذه القضايا تتناول بشكل متوازٍ ، ولكن دون تصاعد درامى مقنن ، إذ إن حل هذه القضايا يتم استعراضها من إطارها الخارجى دون الاضطلاع بعبء الولوج إلى لبها ،مما جعلها سطحية العرض هشة الحلول، محملة بأفكار طبقية ، ثم التدشين لها طوال أحداث الفيلم من أجل إحلال أفكار خاصة لدى البنات بصفة خاصة ، كما يتم وضع السم فى العسل ، ولكن على الطريقة السينمائية !!» (١) .

---

(١) أحمد كمال زكى : صحيفة النور، عدد (٦٣٨) ، ١٧ جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ .

## فساد الوسط الفنى واعتزال البعض

هذه الأجواء الفاسدة فى الواقع السينمائى ، وبين العاملين فى الوسط الفنى دفعت أكثر من عشرين ممثلاً وممثلة للاعتزال وهم فى قمة الشهرة ، منهم : شادية ـ مديحة كامل ـ هناء ثروت ـ شمس البارودى ـ نسرين ـ نورا ـ سوزان عطية «مطربة » ـ شهيرة ـ سهير رمزى ـ سهير البابلى ـ هالة الصافى ، وسحر حمدى « راقصتان » ـ منى جبر .

ومن الممثلين : حسن يوسف ـ محمد العربى ـ محسن محيى الدين .

ولم يكن قرار اعتزال الوسط الفنى والشهرة والأضواء ـ كما ذكرت الفنانات التائبات فى أحاديث صحفية ـ قرارًا سهلاً ، حيث قوبلن بعاصفة من الهجوم الحاد والافتراءات الظالمة ، والإغراءات الكثيرة .

وعن أسباب اتخاذ قرارها باعتزالها الفن تقول «هناء ثروت» ـ فى حديث نشر بصحيفة النور عدد (٦٣٦) : « إن هذا القرار أصوب قرار اتخذته فى حياتى ، وزوجى الكريم محمد العربى كان له دور كبير فى ابتعادى عن الفن ، حيث توصلنا إلى أنه ليس الفن الذى كنا نحلم به ، فقد وجدت أن الأدوار التى تصل بى إلى النجومية بعيدة كل البعد عن الأخلاقيات التى تربيت ونشأت عليها ، فكان علىّ أن أقدّم أدوار الإغراء ، أو أرفض هذه البذاءات ، حتى ولو كانت فيها الأمجاد ، فلم يكن لدىّ استعداد أن أقدِّم دورًا يخجل ابنى أو ابنتى ، وهذا ما جعل بينى وبين الفن سورًا عاليًا ، وبُعدى عن الفن جعلنى أعيد حساباتى من جديد ، فقد كان الفن يتطلب منى وقتًا طويلاً ، وكنت فى سبيله أُضيع رعايتى لأبنائى وزوجى وآدائى لفروض الصلاة ، وقد حاول الكثيرون معى للعودة للتمثيل ، ولكن لا !!» .

كما تقول « نسرين » ـ كما ورد فى نفس الصحيفة : « قضيت ثمانى سنوات فى تفكير دائم ومعاناة نفسية ، كنت أمثل بغير اقتناع بما أفعل ، وأسأل نفسى بعدها : لماذا أديت هذا الدور ؟! وكانت المخاوف تطاردنى وأنا أنظر إلى ابنتى الصغيرة ، وما ستقول عنى حين تكبر وتشاهد أعمالى وترانى ألمس هذا أو ذاك ؟! إننى لا أنكر الفن فى ذاته ؛ لأنه عمل راقٍ إذا استخدمناه بصورة فاضلة ، ولقد اعتزلت وأنا فى فترة من أنجح

فترات حياتى ، وكنت أملك مع زوجى « محسن محيى الدين » شركة إنتاج ، وأنتجنا فيلمًا حقق نجاحًا هائلا ،وكنت أنا ومحسن نسأل بعضنا يوميًا : وماذا بعد ؟ وأصابنا التمزق النفسى ، حتى قررنا الاعتزال ، وأنا الآن أرتدى نقابًا كاملاً، والحمد لله » .

ويؤكد « محسن محيى الدين » على كلام زوجته « نسرين » قائلاً : « يجب أن نعلم أن الربح من الفن لا يضاهيه أى ربح آخر ، وكان من الجهل أن نضحى بعملنا ونجاحنا وشهرتنا فى مقابل أى ثمن ، إنما التضحية تكون مقابل قيمة أعظم من المال ، وليس أعظم منه سوى رضا الله تعالى ، ألا يعلم مروِّجو الإشاعات أن التجارة مع الله أربح وأضمن ، وأن عودتنا إلى الله ليست لغزًا محيِّرًا ، فالمسألة بوضوح هى أننا لم نكن نعلم أو نقرأ ، وكنا ننجح فى مادة الدين بصعوبة ، وكان الفهم الصحيح غائبًا ، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد لنا الهداية وتصحيح طريقنا » .

وتقول « شهيرة »ـ فى حديث لمجلة المصور (٥ /٩ / ١٩٩٥م ) : « الفن ليس حرامًا ، بل بالعكس هو شىء جميل إذا استخدمناه استخدامًا صحيحًا ، فقد ينجح عمل درامى فى إقناع الناس وإرشادهم عن خطبة يلقيها عالم دين ، ولكن الفن اليوم ليس رسالة أو قيمة ، وإنما انهيار وسقوط وابتذال ، لذلك قررت الاعتزال ؛ لأن الفن ليس أكثر من رقص وعرى وفجور ، وأى إنسان يحترم نفسه من الصعب أن يعمل فى مثل هذه الظروف ، والحقيقة ، نحن الذين نصنع الحرام بأيدينا ، كل مهنة فيها الحلال وفيها الحرام ، فمهنة الطب مثلاً أسمى رسالة ، والطبيب ملاك الرحمة ، لكن قد يتحول إلى مذنب إذا أغواه الشيطان وهو يكشف على جسد امرأة ، فيرتكب المعاصى ، وتصبح مهنة الطب « حرام » لأمثاله » .

ولعلنا نذكر تلك الضجة الكبيرة التى أثيرت حينما حاول أهل الوسط الفنى استدراج « شادية » بعد اعتزالها ، وإغرائها باستلام جائزة مهرجان القاهرة السينمائى الدولى عام ١٩٩٥ م ، ولكنها رفضت !!

وصدق ذو النورين ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ حين قال : « ودَّت الزانية لو زنت النساء كلهن » !!

## ضوابط للرقابة على المصنفات الفنية

إن طبيعة الفيلم السينمائى أنه يجب أن يُعرض على الجمهور من خلال دور عرض معلومة المكان ، شأنه فى ذلك شأن المسرحية التى تعرض على خشبة مسرح معلوم المكان ، ووقت العرض معلوم فى كلا الحالين أيضًا .

وعلى ذلك فإن سلطة الرقابة على المصنفات الفنية لن تحتاج إلى جهد كبير من البحث والتقصى، للتحرى عن الأفلام والمسرحيات المنافية للآداب ، وذلك على العكس من الرقابة على الكتاب الذى يمكن أن يطبع أو يتداول سرًا .

وقد يكون الفيديو وسيلة للهروب من الرقابة ، إلا أن مشاهدى الفيديو لا يزيدون ـ فى التجمع الواحد لهم أمام جهاز لمشاهدة فيلم هابط ـ عن أصابع اليدين ، وإذا زاد العدد عن ذلك فربما اكتُشفوا ، وذلك بعكس السينما التى يرتاد العرض الواحد فيها المئات ، بل الآلاف ، وعمومًا فإن الأمر المهم هو قرار الرقابة بعرض الفن من عدمه .

والرقابة على المصنفات الفنية تعد أمرًا ضروريًا لصيانة الآداب العامة ، ومصلحة البلاد العليا ، وعدم التعرض لما يمس شعور الشعب وعقيدته ، إلى غير ذلك مما يكون ضروريًا للمحافظة على الأخلاق والقيم ، وذلك حتى تصبح الأعمال الفنية وسيلة إصلاح وتهذيب ، ولما لها من تأثير فى توجيه الرأى العام فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

ودعوتنا إلى الرقابة على المصنفات الفنية فى المجتمعات الإسلامية والتأكيد عليها ، ليست هذه الدعوة بدعة ، ففضلاً عن أن الدين والمنطق السليم يدعو إليها ، فإن سائر الأمم ـ ومنها الأوربية والأمريكية ـ تأخذ بها .

وقد بدأ تطبيق الرقابة فى مصر عام ١٩١٤م؛ استنادًا إلى المادتين ١٠ ، ١٦ من لائحة « التياترات » الصادرة فى ١٢ يوليو ١٩١١ م .

وقد صدر أول قانون خاص بالرقابة عام ١٩٤٧ م،وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، حل محله القانون رقم ٤٢٧ لسنة ١٩٥٤م ، الذى حظر على المسؤولين عن دور السينما

السماح بإدخال الأحداث ـ من هم دون ١٦ سنة ـ لمشاهدة العروض السينمائية المحظور عليهم مشاهدتها .

ثم صدر القانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥م ، فيتضمن فى مادته الأول : تخضع للرقابة الأشرطة السينمائية وما يماثلها؛ وذلك بقصد حماية الآداب العامة والأمن العام ومصالح الدولة العليا .

ثم يأتى القرار الوزارى رقم ٢٢٠ لسنة ١٩٧٦م لينص فى مادته الأولى على أن : الرقابة تهدف إلى الارتقاء بمستوى المصنفات الفنية ، لتكون عاملاً فى تأكيد قيم المجتمع الدينية والروحية والخلقية ، وفى تنمية الثقافة العامة وإطلاق الإبداعات الخلاقة ، كما تهدف إلى المحافظة على الآداب العامة والنظام العام ، وحماية النشء من الانحراف ، ثم تضيف المادة الثانية ـ تحقيقًا للأهداف المشار إليها فى المادة السابقة : لا يجوز الترخيص بعرض أو إنتاج أو إعلان عن مصنف، إذا تضمن بوجه خاص الدعوات الإلحادية والتعريض بالأديان السماوية والعقائد الدينية، وتحبيذ أعمال الشعوذة ، وإظهار صورة الرسول ﷺ صراحة أو رمزًا ، أو صور أحد الخلفاء الراشدين ، وأهل بيت النبى ﷺ، والعشرة المبشرين بالجنة ، أو تمثيل أصواتهم ، وكذلك صور الأنبياء عمومًا ، على أن يُراعى فى ذلك الرجوع إلى الجهات الدينية المختصة .

وأداء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وجميع ما تضمنته الكتب السماوية أداء غير سليم، أو عدم مراعاة أصول التلاوة ،وعدم مراعاة تقديم الشعائر الدينية على وجهها الصحيح ،وعرض مراسم الجنائز أو دفن الموتى بما يتعارض مع جلال الموت،وتبرير أعمال الرذيلة على نحو يؤدى إلى العطف على مرتكبيها،أو باتخاذها وسيلة لخدمة غايات نبيلة ، وذلك بتصوير وعرض الرذيلة على نحو يشجع على محاكاة فاعلها ، رغم تصوير العقاب الذى يناله عليها فى النهاية .

وإظهار الجسم البشرى عاريًا على نحو يتعارض مع المألوف وتقاليد المجتمع ، أو إبراز الزوايا التى تفصل أعضاء الجسم وتصورها بشكل واضح ،وكذلك المشاهد الجنسية المثيرة والحركات المادية ، والعبارات التى توحى بما تقدم ،والمناظر الخليعة ومشاهد الرقص بطريقة تؤدى إلى الإثارة ، وعرض مشاهد تعاطى الخمور والمخدرات على أنه شىء مألوف ومستحسن ، وعرض ألعاب القمار واليانصيب بطريقة تشجع على أن تكون

مصدراً للرزق .

كذلك استخدام عبارات أو إشارات أو معانٍ بذيئة تسيء إلى الذوق العام ، أو تتسم بالسوقية ،وكذا عدم مراعاة الذوق عند استخدام الألفاظ المرتبطة بالحياة الجنسية والخطيئة الجنسية ، وعدم مراعاة قدسية الزواج والقيم المثالية للعائلة، أو عرض مشاهد تتنافى مع الاحترام الواجب للوالدين ما لم يقصد بها الموعظة الحسنة ، وعرض الجريمة بطريقة تثير العطف على الجانى ، أو تغرى بالتقليد ، أو تضفى هالة من البطولة على المجرم ، أو تقلل من شأن الفعل الإجرامى ودرجة خطورته على المجتمع ، مما يوحى بالمحاكاة، وكذا عرض جرائم الانتقام والأخذ بالثأر بطريقة تدعو إلى تبريرها ، وعرض مناظر القتل، أو الضرب ، أو التعذيب والقسوة عمومًا بطريقة وحشية تفصيلية ، واستخدام لقطات العنف والرعب لمجرد الإثارة ، وعرض الانتحار وتصويره بوصفه حلاً منطقيًا ومعقولاً لمشكلات الإنسانية ، وكذلك عرض الحقائق التاريخية ، وخاصة ما يتعلق منها بالشخصيات الوطنية بطريقة مزيفة أو مشوهة .

هذه هى النصوص القانونية ، وهى كما نرى كافية تمامًا ـ إذا تم تطبيقها ـ لحماية المجتمع من الأعمال الفنية الهابطة ، إلا أن المرء حينما يطّلع على الواقع الفنى يلحظ أن كل ما حظره القانون تقريبًا نشاهده على الشاشات صباح مساء !!

نرى أن هذا التناقض الواضح بين ما يحدث فى الواقع ، وبين ما يمليه القانون ، يرجع فى جزء منه ـ إلى ضعف العقوبات التى فرضها المشرِّع على المخالفين فى هذا الشأن، ولا أدل على ذلك من أنه على الرغم من قائمة النصوص القانونية التى ذكرناها، فإن الإسفاف لم يتراجع قيد أنملة ، بل إنه يتقدم !!

لذا فإنه يتعين على المشرِّع أن يعيد النظر فى العقوبات المفروضة فى هذا الصدد ؛ لتكون أكثر حسمًا وردعًا لسيل الأعمال « القذرة » ؛التى جعلت مدير التفتيش بالرقابة على المصنفات الفنية يقول ـ فى حديث بجريدة النور عدد رقم( ٦٢٦) : « لو كنت سيد القرار لرفضت( ٩٩ ٪) من الأعمال المعروضة حاليًا ، ولكن اختصاصنا كمفتشى رقابة متقلص ونعمل فى أضيق الحدود،ولا بد من تدخل الدولة لعمل بنية ثقافية لا تقل أهمية عن البنية الأساسية الاقتصادية ؛ لأن الثقافة حاليًا فى تدهور وتحتاج لإنقاذ سريع وخاصة السينما ، فالقضية هى دور الدولة الحيوى والهام الذى يجب أن تضطلع به

للتغيير ، وتطوير المجتمع نحو الأفضل فى جميع المجالات ، وأهمها الثقافة » .

وفضلاً عن ضعف العقوبات ، إلا أن الأمر الأهم هو أن هناك ما يمكن أن نسميه بـ « الضوء الأخضر » من سلطات الدولة، يسمح بالتجاوز عن الأعمال الفنية المُسفَّة التى تُعرض فى الجهاز الإعلامى الرسمى للدولة « التليفزيون » ، أفلا تعرض فى دور السينما التى يمتلكها الأفراد ؟!

فلو وُجدت الرغبة والإرادة الصادقة لدى الدولة فى « تهذيب » الواقع الفنى ، فإن القوانين الموجودة ـ التى عرضنا لها ـ فيها الكفاية ، ولا أدل على هذا الذى نقول من أن هناك مديرة للرقابة على المصنفات الفنية ـ السيدة درية شرف الدين ـ أرادت أن تواجه الأعمال المسفة ، والرقص الشرقى المتبذل فى السينما والمسرح، فمن الذى حال دون ذلك، ووقف فى سبيل « تهذيب » الفن ،إنه الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة ، بإيعاز من وزير الثقافة الذى لم يمنعه من التدخل فى أعمال مديرة الرقابة، فما كان منها إلا أن أعلنت استقالة مسببة من منصبها فى شهر مارس من عام ١٩٩٦م ، ألم نقل: إن أجهزة الدولة مسؤولة عن وصول الأعمال الفنية إلى هذا الدرك الأسفل من الانحطاط والابتذال ؟!

## رقابة الأزهر الشريف

للأزهر الشريف فى مجال الرقابة دور أناطه به القانون ، فقد قضى القانون رقم (٢٢٠) لسنة ١٩٧٦م بوجوب الرجوع إلى الجهات الدينية المختصة ( أى الأزهر الشريف) فيما يتعلق بالأعمال التى تمس أو تتعرض للعقيدة الدينية، وما يتصل بذلك .

كما أكد القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ فى المادة ٢٥ منه على اختصاص الأزهر الشريف بالنشر والترجمة والتأليف والبحوث فى نطاق أغراضه .

كذلك قضى قرار رئيس الجمهورية رقم(٢٥٠) لسنة ١٩٧٥م بأن يضطلع الأزهر بدوره فى مجال الرقابة على ما ينشر متصلاً بعلوم الإسلام بصفة خاصة .

وقد أثير لغط فى السنوات الأخيرة حول مدى الاختصاص القانونى للأزهر فى الرقابة على الأعمال الفنية والمصنفات السمعية ، أو السمعية البصرية ، أو المقروءة التى تتناول قضايا إسلامية ، أو شأنًا من الشؤون يتعارض مع الإسلام ، ومنع هذه الأعمال من الطبع أو التسجيل أو النشر والتوزيع والتداول .

كما أثير جدل حول الضوابط التى تحكم اختصاص كل من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة فى مجال الرقابة على المصنفات الفنية .

وحسمًا لهذا اللغط والجدل ، فقد عرض الأزهر الشريف هذا الموضوع على الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة ؛لبيان وجه الرأى القانونى فيه، فى ضوء أحكام القوانين التى تنظم الأزهر الشريف ، وتلك التى أخضعت المصنفات الفنية للرقابة .

وقد تناولت الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة هذا الموضوع بالبحث ، بجلستها المنعقدة بتاريخ الثانى من فبراير سنة ١٩٩٤م ، وخلصت من البحث الدقيق إلى وضع الضوابط التى تحكم الرقابة على المصنفات بوزارة الثقافة ، إذا ما تعلق المصنف بشأن إسلامى ، وقررت مبدءًا هامًا مقتضاه التزام جهات الإدارة المختلفة ؛ ومن بينها الرقابة على المصنفات الفنية بالتقدير الذى تتوصل إليه الهيئات المتخصصة بالأزهر الشريف ، نتيجة ما تقوم به من بحوث ودراسات .

## تمثيل الأنبياء وآل البيت

ترددت فى الآونة الأخيرة تُرَّهات باطلة ، وتعالت أبواق العلمانيين ضد الأزهر الشريف ؛ نظراً لرفضه عرض فيلم « المهاجر » الذى يحكى قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

ومن الجدير بالذكر أن تمثيل هذه القصة القرآنية كان أملاً يراود بعض العاملين فى المجال الفنى ، وقد تحدث الشيخ أحمد الشرباصى عام ١٩٥٩ م ، أى قبل نحو أربعين عاماً قائلاً [١]: « ولعلكم سمعتم بالذين يريدون إخراج فيلم عن سيدنا يوسف الصديق، وهم لم يختاروا قصة يوسف لتكريمه أو تعظيمه ، بل لعلهم اختاروها ليعرضوا فقط مباذل امرأة العزيز ومراودتها ليوسف وغير ذلك من المناظر، التى سيكيفونها بطبيعة الحال حتى تُرضى رغبتهم فى إثارة الغرائز،والنزول بالمستوى الأخلاقى بين الناس » .

وهذا الذى توقعه الشيخ الشرباصى فى الخمسينيات أصبح واقعًا فى التسعينيات ، حيث قام المخرج المسيحى يوسف شاهين بإخراج فيلم المهاجر ـ قصة سيدنا يوسف ـ وأنتج هذا الفيلم القناة السابعة بالتليفزيون الفرنسى !!

وقد استند الأزهر الشريف فى رفض عرض هذا الفيلم ـ فى التقرير الذى وضعه مجمع البحوث الإسلامية، بعد قراءة سيناريو الفيلم فى مارس ١٩٩٥ م ـ إلى أنه فضلاً عن تمثيل شخصية سيدنا يوسف ، فإن الفيلم يحتوى على أخطاء تاريخية تناقض ما جاء بالقرآن الكريم ، وهذه بعض الأخطاء ، بل الخطايا التى وقع فيها الفيلم من واقع تقرير مجمع البحوث الإسلامية :

ـ وصف نبى الله يعقوب بأنه يتلوى ألمًا وغضبًا ؛ لأن ربه قد أنزل به العقوبة ، وأنه بدا صائحًا منتحبًا يعاتب ربه ، وهذا يناقض ما جاء فى القرآن من أن يعقوب عليه السلام تذرع بالصبر .

ـ تحدث الفيلم عن سيدنا يوسف بأنه شارك المصريين فى طقوسهم وصلاتهم للأصنام ، مجاملاً ومؤمنًا بأن ربه سيسامحه ويقدر موقفه .

---

(١) أحمد الشرباصى : الموسوعة الشرباصية فى الخطب المنبرية ، جـ ٤ ، دار الجيل ، ص ١٤٨ .

ـ أظهر امرأة العزيز وهى ترقص لاهية نشوانة، وأن يوسف عليه السلام كان يراقب حركاتها ،وأخذ كفها المجروح ورفعه إلى فمه وقبله ، وهذا الوصف لا يليق أن يروى أو يرى فى قصة نبى من أنبياء الله .

ـ جاء فى مشهد أن يعقوب أعطى يوسف عباءة جده إبراهيم، وقال له: إن هذه العباءة هى التى أنقذت جده من النار ، وهى التى ستنقذه من غيرة إخوته ، وهذا كله حديث خرافة؛ فلم تكن لإبراهيم عباءة من هذا النوع، ونجاته من النار إنما كانت علته أن الله سلب منها القدرة على الإحراق ،وجعلها بردًا وسلامًا .

ـ جاء فى مشهد أن يعقوب كان يفضّل يوسف وأخاه ( بنيامين ) على أولاده كافة، وهذا خطأ ، فكان يعقوب أعدل من أن يفضّل بعض ولده على بعض ، وما قاله أبنائه قد كان وهمًا منهم ، ولم يكن حقيقة قررها يعقوب .

ـ وأكد التقرير الذى وضعه الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، أن مؤلف وكاتب سيناريو ومخرج فيلم ( يوسف الصديق ) قد ناقضوا ما ثبت فى القرآن الكريم عن قصة نبى الله يوسف ، ولم يلتزموا بالنص القرآنى فيما حكاه رب العزة من وقائع هذه القصة ، وأضافوا إليها الكثير من شطحات الخيال ، التى أوهنتها وأخرجتها من دائرة الحقيقة والواقع إلى مجال الأسطورة والخرافة، وأضافوا إليها كثيرًا من العبارات الهابطة والمشاهد الخارجة عن تقاليد المجتمع وآدابه .

ـ ولما أخطر مخرج الفيلم ( يوسف شاهين ) بهذه الملاحظات أعرض عن الاستجابة إلى الأغلب والأعم والجوهرى منها ، واكتفى بتغيير اسم الفيلم من ( يوسف الصديق) إلى ( المهاجر ) مع الإبقاء على أساس الوهن والمناقضة للقرآن .

ـ وترتيبًا على ذلك، فإن فيلم المهاجر يكون حريًا برفض الأزهر الشريف له ، وهو ما انتهت إليه الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية، وفقًا للاختصاص المخوّل لها قانونًا .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القانون رقم (٤٣٠) لسنة ١٩٥٥م لتنظيم الرقابة على المصنفات الفنية، والمعدّل بالقانون (٣٨) لسنة ١٩٩٢م، قد أقر للأزهر الشريف بدوره الرقابى هذا، وأيده فيما انتهى إليه من أنه لا يجوز إظهار صورة الأنبياء أو غيرهم من

الشخصيات الدينية ذات القداسة فى نفوس الناس؛ حتى لا يكون ذلك ماسًا بالنظام العام للمجتمع والآداب العامة، التى تنص عليهما المادة الأولى من قانون الرقابة على المصنفات.

هذا وقد أقر المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد فى ذى القعدة سنة ١٣٩٧هـ - أكتوبر ١٩٧٧ م ما أقره المجمع ، من منع إنتاج أى فيلم يتناول بالتمثيل صاحب الرسالة أو أحد أصحابه الكرام ، ولا يجوز السماح بعرضه صيانة لشخصية الرسول الكريم وأصحابه الأجلاء من التعرض لما لا يليق بمنزلتهم المصونة، ويطالب المؤتمر بمراقبة الأفلام السينمائية والتمثيليات قبل عرضها ، ومنع ما يتعارض فيها مع تعاليم الدين الحنيف .

- وفى فتوى للشيخ حسنين مخلوف (٧ من مايو سنة ١٩٥٠م ) أجاز إخراج فيلم عن الإسلام، بشرط عدم التعرض لأى موقف للرسول ، ولا لأحد من آله وخلفائه، بحيث لا تظهر فيه صورة ، أو يسمع صوت لأى واحد من هؤلاء .

ونخلص من ذلك إلى ما ذهب إليه الأزهر الشريف ، مؤيَّدًا بالقرار رقم (٢٢٠) لسنة ١٩٧٦م، من تحريم إظهار صورة الرسول ﷺ صراحة أو رمزًا أو صور أحد الخلفاء الراشدين ، وأهل بيت النبى ﷺ ، والعشرة المبشرين بالجنة ، أو تمثيل أصواتهم ، وكذلك صور الأنبياء عمومًا .

## علماء الدين فى الأعمال التمثيلية :

علماء الإسلام هم قادة الفكر والدعوة ،والحصن الحصين للأمة الإسلامية ، يلجأ إليها الناس عند كل محنة ليحكموا بينهم بما شرع الله ، هذا الرجل المهاب حوَّلته الأعمال الدرامية إلى وسيلة ومن وسائل السخرية ، فظهر كشخصية ساذجة ، أو أنه رجل يبيع الدين ، أو أنه إرهابى معادى للمجتمع ، وغير تلك الصور التى تظهره بشكل مكثف يثير التساؤل .

فلماذا تظهر شخصية علماء الدين ممسوخة فى الأعمال الدرامية؟! ومن وراء ذلك العمل الدنىء الذى يهدف إلى هدم القيم الإسلامية ؟!

إن الهجوم والتهكم على علماء الدين بدأ مع بادية الاستعمار الأجنبى لمصر ، حيث أدرك المستعمر أن علماء الدين وعلماء الأزهر هم قادة الفكر ؛ ولذا حاول المستعمر تشويه صورتهم أمام المجتمع، وتصويرهم على أنهم مجموعة من الجهلاء جامدى

الفكر، لا يمكنهم مواكبة التغيرات الحديثة.

وانعكست تلك الصورة المشوهة على أجهزة الإعلام المختلفة، فظهر العالم فى بعض الأعمال على أنه يتمسك بتفاهات الأمور فى بعض الأحيان ،وأحيان أخرى يصور على أنه يبيع الدين ( الفتاوى ) لمصالح شخصية، فى نفس الوقت الذى اختفت فيه صورة العالم الحقيقية ، بل استمرت السخرية من كل ما يستطيع رجل الدين أن يقوم به أو يمثله، فسخروا من الفكرة الدينية فى كثير من المواقف، مثل :« فلان الفلانى بيصلى» فيرد عليه آخر فيقول : « يا سيدى يبقى ياخدنا على جناحه » .

ثم السخرية من مدرس اللغة العربية بإظهاره بمظهر « المتقعر »، والذى كان يمثله آنذاك العالم الأزهرى ، ففى مسرحية « السكرتير الفنى » يظهر « عبد الوارث عسر » بشخصية مدرس اللغة العربية الأزهرى « التافه »، الذى هو محل سخط الناظر فى معظم الوقت، واستتبع ذلك أيضًا أن تظهر شخصية المأذون كشخصية مهزوزة وبلا ضمير ، ثم يظهرون شخصية الحانوتى وهو يرتدى زى الأزهريين ، حيث إن الحانوتى يؤدى دورًا خطيرًا ، لكنه ارتبط فى الأذهان بعدم القبول .

وكان نتيجة هذا التناول أن ظهر اعتقاد بأن العالم متخلف ، وأن هذه الشخصية غير حضارية وضد التطور والتقدم ، مع أن الواقع يقرر أن الذين نهضوا بكل المعايير الحضارية هم علماء الدين ، ثم ظهر عامل آخر آكد فى إظهار عالم الدين بهذا المظهر فى الأعمال الدرامية، وهو الأفكار والمناهج الاشتراكية والشيوعية التى حرصت على أن تجفف ينابيع الدين ، وأن تقلص دوره وذلك بعد قيام الثورة .

إن شخصية عالم الدين ترمز إلى الدين ، فإذا صورت على أنها شخصية ( كاريكاتيرية ) مليئة بالسخرية ومتخلفة بعيدة عن التقدم ومتطلبات العصر ، أو أن من يرتدى زى عالم الدين مجرد رجل جشع ، أو رجل يبيع دينه ويحلل ما حرَّم الله لأغراض شخصية ، أو أنه إنسان ساذج يثير الاستهزاء والرثاء ،كل هذا يخلق فجوة بين المجتمع وعالم الدين؛ حيث يعتبر البعض أن فاقد الشىء لا يعطيه، فيبتعد شيئا فشيئًا عن مناهج الدين، وهنا الكارثة .

إن تصوير عالم الدين بهذه الصورة يضر بالمجتمع وبالمصالح العليا للبلاد ؛ لذا يجب أن تهتم المؤسسات الإسلامية الرائدة ـ وعلى رأسها الأزهر ـ بإصدار تشريع يمنع

إرتداء الزى الأزهرى لكل من ( هب ودب )، مثلما منعت وزارة الداخلية بيع الزى الرسمى لها بدون تصريح ، وذلك حتى نحمى صورة علماء الأزهر فى أذهان الناس .

إن وسائل الإعلام المختلفة ركزت فى الفترة الأخيرة على علاج قضية الإرهاب ولكن بشكل خاطئ ، حيث صورت كل من يرتدى جلبابًا ويطلق لحيته على إنه إرهابى متطرف لا يفقه شيئًا فى الدين ، ويجب أن يبتعد الشباب عنه حتى لا ينحرفوا .

ونحن نتساءل كيف يمكن أن نربى أجيالاً تحترم وتوقر علماء الدين، وهى تراه فى وسائل الإعلام ـ وخاصة ( الأعمال الدرامية )ـ دائمًا على أنه شخص ليس بينه وبين المجتمع أى صلة .

ومن الأعمال الفنية التى أساءت إلى الدين الإسلامى وما يمثله لدى المسلمين مسلسل العائلة الذى عرض عام ١٩٩٤م ، وهذا نص ما ردَّ به الأزهر الشريف على تجاوزات المسلسل (١) :

نوضح أن هذا المسلسل حين عرضت نصوصه على الجهة المختصة بالأزهر الشريف، وجدت فيها بعض التجاوزات والمخالفات للمبادئ الدينية الخاصة بعذاب القبر وغيره ، وأبدى الأزهر الشريف ملحوظاته على ذلك، ولم يوافق على عرضه قبل تصويب الملحوظات التى أبداها وأبلغها للمسؤولين فى حينه ، غير أن المسلسل فيما يبدو عرض دون تصويب وقبل إعادة مراجعته من الأزهر الشريف .

والحق أن عذاب القبر ـ وكذا نعيمه ـ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، ويجب على كل مسلم الإيمان به؛ لما ورد فى ذلك من النصوص المؤيدة، والبالغ مجموعها حد التواتر.

وقد تضافرت فى ذلك الأدلة الواضحة القوية ،حيث جاء فى كتاب الله ـ عز وجل ـ قوله تعالى : ﴿ **إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** ﴾ [ الأنعام : ٩٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾** ﴾ [ التوبة] .

وجاء فى السنة الشريفة الأحاديث المتواترة المعنى فى هذا الموضوع؛ كقوله ﷺ: « القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران » رواه الترمذى، وقال :

---

(١) هدية مجلة الأزهر ، شوال ١٤١٤ هـ ، ص ١٤ ـ ١٦ بتصرف .

هذا حديث حسن .

فهذه النصوص كلها ـ وغيرها ـ متضافرة تفيد : أن عذاب القبر من العقائد الإسلامية التى يجب الإيمان بها .

وإذا كان هذا هو موقف الأعمال الفنية عندنا من علماء الدين ، فإن المسؤولين عن وسائل الإعلام فى أمريكا ـ مثلاً ـ يقولون :

(السبب الذى يجعلنا نمتنع عن إظهار القسس فى شخصيات فكاهية أو على أنهم أشرار ، هو ببساطة أن الاتجاه الذى يكوّنه الناس عنهم قد يصبح بسهولة اتجاهًا يعتنقه الناس نحو الدين بشكل عام ) (١) ، فإذا كان هذا اتجاهًا فى مجتمعات متحررة ، فما بالنا نحن نهدم ـ بطريقة خفية ـ علماءنا ؟!و نحث الناس على ازدرائهم؟ !

كما أن الرقابة الفنية ببريطانيا ـ المرجع الأساسى لليبرالية الغربية ـ منعت فيلمًا سينمائيًا من العرض ؛ لأنه يتضمن مشاهد إباحية تتعلق بالسيد المسيح ومريم البتول ، ولم يكن المنع بهدف المحافظة على الأخلاق العامة ،إذ توجد بصالات العرض البريطانية أفلام فى غاية الجرأة والابتذال ، وإنما الهدف بالتحديد هو الحفاظ على العقيدة المسيحية المتصلة بتنزيه السيد المسيح وأمه ، فقد تضمن قرار المنع اعتبار المشاهد الجنسية التى تتصل بالمسيح وأمه هرطقة وتجديفًا ، أى ارتداد وخروج على الملة المسيحية .

وهنا فإن بريطانيا ـ أم الديمقراطيات الحديثة ـ ترى أن الإبداع الفنى وحرية المبدع لا يجب أن تتعرض لعقائد الأمة ، أو تمس صلب دينها ، لكن منتجى الفيلم رأوا أن ذلك حجرًا على حريتهم ، وتوجهوا إلى سلطة أعلى وهى المحكمة الأوربية ـ ( محكمة قارية وغير قومية ) ـ SufranationL ـ وذلك لنقض القرار البريطانى؛ بحجة أنه يخالف شرعية حقوق الإنسان فى حرية القول والتعبير ، كما أنه يحول دون حق الناس أنفسهم فى الاطلاع على هذا العمل الفنى ، لكن المحكمة الأوربية أقرت قرار هيئة الرقابة الفنية البريطانية بمنع عرض الفيلم؛ لتعرضه لما يمكن أن يوصف بازدراء الدين المسيحى ، أى أن المحكمة الأوربية ـ هى الأخرى ـ رأت أن حق الإنسان والمبدع فى الإبداع والحرية فى التفكير لا يجب أن يطول مقدسات الأمة وثوابتها ، أى أن هناك محرمات لا يجب انتهاكها واختراقها بحجة الإبداع الفنى ، هو عمل شائن يعرض فاعله للحكم عليه بالتجديف والهرطقة ،أى الارتداد .

---

(١) د . جيهان رشتى : الأسس العلمية للإعلام ، ص ٣١٧ .

## الحاجة إلى سينما إسلامية

إن فن السينما رغم كونه من الفنون الحديثة ، إلا أنه تجاوز من حيث تأثيره وانتشاره سائر الفنون الأخرى ، وأصبح عنصراً هامًا وفاعلاً فى تشكيل الوجدان والعقل الإنسانى فى مختلف القطاعات والثقافات .

فإذا لم يتم توجيه هذا الفن المؤثر توجيهًا سليمًا ، يهدف إلى تحقيق آمال الأمة وطموحاتها فى ثقافة دافعة إلى التقدم والازدهار ، وليس إلى التراجع والاندحار ، فإن مردوده سيكون حتمًا سلبيًا على تواصل الأجيال ، وعلى تراث الأمة وتاريخها وتوجهات حضارتها .

ونحن فى عصر تتسابق فيه الأمم وتتصارع ـ وخاصة المتقدمة منها ـ إلى إحلال الاحتلال الثقافى محل الاحتلال العسكرى ، وذلك عن طريق استخدام الوسائل التقنية الحديثة ـ ومنها الفن السينمائى ـ فى نشر ثقافاتها ومفاهيمها ؛ لأن السيادة تبدأ من الفكر والثقافة .

لذلك ينبغى أن تكون التصورات والأفكار والمفاهيم التى نطرحها من خلال السينما وغيرها نابعة من قيمنا ومبادئنا الإسلامية ، حتى تصب فى صالح المجتمع المسلم ، فتعمل على تهذيب أخلاقياته ، وتقويم سلوكياته ، وتصحيح اتجاهاته ، وترتيب أولوياته ، وذلك لن يتحقق إلا إذا كان ما يُطرح على الساحة من أعمال فنية وأدبية ، ومن معارف مختلفة مرتبطًا ومتصلاً اتصالاً وثيقًا ببناء القيم والأخلاقيات الإسلامية ، التى هى مصدر حياة الأمة ، وسر وجودها .

ونظرًا لخلو ـ أو ندرة ـ الساحة الفنية من الفنانين الإسلاميين ذوى الحس والفهم والإدراك لأبعاد خصوصية توجهات الحضارة الإسلامية ، ممن يجيدون تصوير وتجسيد شخصية المسلم السوى فى سلوكياته وأسلوب تفكيره وتفاعله مع مجتمعه ؛ نظرًا لذلك ـ وغيره ـ باتت السينما ـ باعتبارها أداة هامة فى صياغة الأفكار وتحديد الاتجاهات ـ حكرًا على فئة معينة منسلخة من القيم والمبادئ الإسلامية ، بدءًا من كاتب القصة والسيناريو والحوار للفيلم ، والمنتج ، مرورًا بالفنانين والفنيين ، وانتهاءً بالمخرج والموزع

وصاحب دار العرض .

وهكذا أصبحت مسؤولية تشكيل الرؤى والأفكار للمجتمع الإسلامى فى أيدٍ غير أمينة؛ لكونها تشرَّبت ثقافتها وارتوت من معين الفكر الغربى ، فعملت على « تسريب » الأوضاع والتصورات والسلوكيات السائدة فى المجتمع الغربى . والمنافية لقيمنا وحضارتنا إلى المجتمع الإسلامى ، وتصويرها له باعتبارها سر النهوض والتقدم ، ولا سبيل إلى الازدهار إلا بها .

من هنا كانت الرسالة التى يتم توجيهها إلى مجتمعنا المسلم من خلال الأعمال الفنية المختلفة، ليست إلا انعكاسًا لما رسخ فى نفوس هؤلاء القائمين على أمر السينما بوجه خاص من اعتبار « النموذج الغربى » هو القدوة؛لذلك فإنه يكون من غير المفيد ، بل من العبث ، مطالبتهم بالتحول عن هذا النموذج الغربى،الذى يعدُّونه سر « التقدم والازدهار » إلى النموذج الإسلامى،الذى يعدونه سبب « التراجع والاندحار » !!

ولعل السبب الرئيسى الذى أدى إلى هذه النتيجة ، هو التراخى والتكاسل والسلبية وإلقاء اللوم على الاستعمار والصهيونية وأذيالهما من العلمانيين والمتغربين ، إلى آخر قائمة الاتهامات التى يجيد القائمون على أمر التوجيه الثقافى الإسلامى إطلاقها وهم قعود بلا حراك !!

وقد كان من الأجدى منهم ، بدلاً من اعتماد السلبية والانزواء فى خندق الدفاع ، هو اختراق هذه الفنون واستيعابها وتطويعها وتطويرها،وجعلها أداة فى أيديهم يوجهونها الوجهة الصحيحة المأمونة ، والمطلوب من المسلم أن يكون صاحب موقف عملى إزاء ما يعرض له من مستجدات .

لذلك فإن حاجتنا أصبحت ماسة إلى صناعة « السينما الإسلامية ؛ لأنها إحدى الوسائل التى نوقف بها مظهرًا من مظاهر ( الغزو الثقافى ) لأمتنا ، وطريقة من الطرق التى نواجه بها حملات التشويه والتشكيك والعداء ، التى يضمها جزء من السينما الأجنبية الواردة إلينا .

وإن صناعة السينما الإسلامية وسيلة من وسائل الحد من تأثيرات السينما العربية ، التى تبتعد فى معظمها عن كل ما هو عربى وإسلامى وجاد وجوهرى ، فى قضايا الأمة العربية ( والإسلامية ) ومشكلاتها ، وطريقة من الطرق التى نواجه بها عمليات

التخريب والتشويه و ( قتل ) المشاهد العربى بخبث أو بحسن نية ،عبر مئات الأفلام السخيفة التافهة الرديئة ، التى دأبت على إنتاجها دوائر إنتاج عربية لا تأبه إلا إلى الأرباح التى تجنيها ، هذا إذا لم يكن لها أهداف مشبوهة أخرى نتورع عن الجزم بها ، وإن كان مضمون هذه الأفلام يشير إليها ويدل عليها .

وإذا كان ما سبق أمر ( وقائى ) دفاعى ـ ونحن للأسف فى مواضع الدفاع غالبًا ـ فإن هناك قضايا ذات طابع ( إيجابى ) تؤكد ( الحاجة) إلى سينما إسلامية فعالة ومؤثرة.

هناك أولاً الموقف اللازم الذى ينبغى على المسلمين أن يقفوه إزاء كل الأدوات والوسائل والتقنيات والمجالات الجديدة ، التى يبتكرها العقل الإنسانى ويوجدها ، وهو موقف ( الاستيعاب ) السريع و ( الامتلاك ) والاستحواذ ، ومن ثم التوظيف الكامل لهذه الأدوات والوسائل والتقنيات فى خدمة قضايا الأمة ومشكلاتها ، وهو أمر دفاعى وإيجابى فى الوقت نفسه ، وقد أثبت العرب والمسلمون ، بجهود غير ضخمة قدرتهم عليه ، وإمكاناتهم حتى فى التفوق فيه ، وفى مجال السينما بالذات استطاع بعض المخرجين العرب والمسلمين أن يقدموا أفلامًا عظيمة ذات مضمون إسلامى ووطنى وإنسانى كبير يضاهى الأفلام الكبيرة ، ويتفوق عليها أحيانًا ، وقد أثبتت السينما الإيرانية وجودها عالميًا فى هذا المجال .

وهناك ثانيًا سعة التصور الإسلامى ، وأمداؤه الفسيحة التى تجعل السبل ميسورة أمام السينما الإسلامية لتتطرق إلى جوانب ومجالات متعددة لا حصر لها ، فى الماضى والحاضر والمستقبل ، والكون والحياة والإنسان ، أى المجالات الكثيرة التى يمكن للسينما الإسلامية أن تتعامل معها وتخوض فيها ، وتسهم بالتالى فى الجهد الإسلامى العام الذى يبذل من أجل عودة الأمة لأصولها وذاتها وجذورها ، وسط التحديات الكبرى التى تواجهها .

وهناك ثالثًا إمكانية توظيف السينما لصالح العمل الإسلامى السياسى بوجه خاص ، وهو مجال يؤمل منه تحقيق نتائج كبيرة ، ولا سيما للتواصل السينمائى والإعلامى الكبير بين مختلف دول العالم ، بحيث يمكن أحيانا اختراق عوائق كبيرة ، لا يمكن لوسائل العمل الإسلامى الأخرى أن تتجاوزها » (١) .

---

(١) محمد وليد جداع : مرجع سابق ، ص ٦٥ ـ ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٥ .

## السينما الإيرانية : تعرية النفس لا الجسد

يمكن القول : إن السينما الإيرانية أصبحت رائدة ونموذجية بين البلاد الإسلامية، وقد عبرت عن الحقائق بكل وضوح بعد انتصار الثورة الإسلامية قبل نحو ربع قرن ، وإذا اعتبرنا مخرجين مثل مصطفى العقاد بفيلميه « الرسالة » و « عمر المختار » نقطة انطلاق للحركة باتجاه سينما إسلامية التوجه ، فيجب التنويه إلى أن المحتوى السياسى والاجتماعى للأفلام الإيرانية بعد الثورة كان أعمق وأكبر ،حيث توجه المخرجون الإيرانيون لتناول الموضوعات الاجتماعية والإنسانية من منظور إسلامى .

لقد تركت السينما الإيرانية آثارها العميقة على المهرجانات العالمية فى مختلف بلدان العالم ، فقد أدهش فيلم « المرآة » لجعفر يناهى الأنظار فى مهرجان لوكارنو بسويسرا ، وأحدث فيلم « مسافر الجنوب » ضجة فى مهرجان طوكيو ، وحاز فيلم « البالون الأبيض » لجعفر بناهى على جائزة الكاميرا الذهبية ، فى مهرجان « كان » العالمى .

ولم يكن هذا النجاح من باب الصدفة ، فقد كانت الروح الإنسانية والأهداف السامية فى الأفلام الإيرانية مما يأسر القلوب حقاً ، وبصفة عامة فإن من إيجابيات السينما الإيرانية فى العقدين الأخيرين ، فضلاً عن نبذ الاعوجاجات السابقة فى عهد «سينما الشاه » عرض نزوع البشر إلى القيم الإنسانية السامية .

وفى مسابقة لم تظفر بها إحدى دول العالم المتقدمة سينمائياً من قبل ، فازت إيران بثلاث جوائز دفعة واحدة فى المسابقة الرئيسة لمهرجان « كان » السينمائى الدولى لعام ٢٠٠٠م الذى تنظمه فرنسا سنوياً ، وذلك عن أفلامها الثلاثة التى شاركت بها فى ذلك العام ، وبذلك تعد إيران الدولة الوحيدة فى تاريخ هذا المهرجان وغيره من المهرجانات الدولية ، التى تفوز جميع أفلامها بجوائز متخطية بذلك زعيمة السينما فى العالم وصاحبة « هوليوود » الولايات المتحدة الأمريكية ، فضلاً عن دول أوربا المتطورة سينمائياً مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا .

وأول الأفلام الإيرانية الفائزة هو فيلم « تاختى سياه » أو« السبورة السوداء » للمخرجة « سميرة مخملباف » ذات العشرين ربيعًا فقط ، والتى تعد أصغر مخرجة سناً

تشارك فى المسابقة الرسمية للمهرجان على مدى أكثر من نصف قرن من تاريخه ، حيث فاز هذا الفيلم بجائزة لجنة التحكيم والتى تعد من أرفع جوائز المهرجان ، وفاز الفيلمان الإيرانيان « جمعة » و « الجياد المخمورة » بجائزة الكاميرا الذهبية عن أول إخراج .

وبعد أن شاركت « مخملباف » لأول مرة ـ وهى محجبة ـ فى المهرجان عن فيلم «التفاحة » وهى لم تكن تجاوزت ١٨ عاماً فقط ها هى تعود لتفوز فى دورة مهرجان عام ٢٠٠٠م بفيلمها « تاختى سياه » الذى يجمع بين الفكاهة والمأساة والشعر والواقعية ، ويروى قصة معلمين يجوبون الطرقات الوعرة القاحلة فى منطقة « كردستان » على الحدود مع العراق ، سيراً على الأقدام بحثاً عن تلاميذ ، ليكسبوا لقمة عيشهم ، وكان صاحب فكرة الفيلم ـ الذى كان أغلب ممثليه من الهواة !! ـ هو والد سميرة المخرج محسن مخملباف ،الذى شارك من قبل فى مهرجان « كان » بفيلمى « سلام سينما » و « زمن الحب » ، وتدور أحداث « تاختى سياه » بكردستان على غرار فيلم المخرج الإيرانى العالمى « عباس كيا روستامى » الحائز من قبل على الجائزة الأولى للمسابقة الرسمية لمهرجان « كان » وهى « السعفة الذهبية » .

ونهمس فى أذن القائمين على صناعة السينما فى مصر والدول العربية والإسلامية ـ منتجين ومخرجين وكتاب سيناريو وفنانين وفنيين ـ أن يقتدوا بالسينما الإيرانية ويسيروا على نهجها ، بدلاً من سينما المقاولات ( العرى والجنس والعنف والمخدرات و«الكوميديا » السطحية ) حيث استطاعت السينما الإيرانية من خلال تعرية النفوس لا تعرية الأجساد أن تحصد العديد من الجوائز الهامة من أهم المهرجانات السينمائية العالمية؛بينما السينما المصرية « محلك سر » بل فى تراجع ، ومازلنا ـ منذ سنوات ـ نتحدث عن أزمة صناعة السينما فى مصر .

## موضوعات السينما الإسلامية

إذا ما طرحنا سؤالاً عن المجالات والموضوعات التى يمكن للسينما الإسلامية المأمولة أن تتناولها وتعالجها ، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن ، هو الموضوعات المستمدة من التاريخ الإسلامى بحوادثه وأحداثه ، من السيرة النبوية وعهد الرسالة ، وعصر الخلفاء الراشدين، والمعارك الكبرى فى الإسلام ، وحياة القادة البارزين على امتداد التاريخ الإسلامى ، فإذا تحدث أحد عن فيلم إسلامى ، انطبع فى الذهن توًا أن مجاله ومضمونه التاريخ الإسلامى وصُنَّاعه !!

وإذا كان من المطلوب صنع أفلام تدور حول الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى، إلا أنه يكون من قصر النظر وصف هذه النوعية من الأفلام فقط ـ دون غيرها ـ بالإسلامية ؛ ذلك لأن التصور الإسلامى هو تصور واسع فضفاض للإنسان والكون والحياة ، وبالتالى يجب أن يعبر الفيلم الإسلامى عن هذا التصور ولا يحصره فى الجانب التاريخى فحسب .

يقول الأستاذ محمد قطب ـ فى كتابه منهج الفن الإسلامى : « ليس من الضرورى أن يتحدث الفن عن الإسلام ؛ حقائقه وعقائده وشخصياته وأحداثه ، وإن كان من الجائز أن يتناول كل هذه الموضوعات ، قد يتحدث لنا عن البرعم النابض الذى ينبعث من ضمير الحياة ، قد يتحدث عن الجيل الشامخ الأشم ، قد يتحدث عن نبتة وحيدة فى الصحراء ، قد يتحدث عن الليلة المقمرة ، قد يتحدث عن مواجع البشرية ، عن صراع الناس فى الأرض، قد يتحدث عن بطل أسطورى ، قد يتحدث عن ذلك كله ، فيكون فنه إسلاميًا إذا تلقَّاه فى حسه بتصور الإسلام الصحيح ، وعبَّر عنه بروح هذا التصور ، وفى سبيل هذه الصورة الشاملة الواسعة للحياة البشرية ، يهتم الفن الإسلامى بإبراز دور العقيدة فى حياة الإنسان، مع الاحتياط الكامل من أن تصبح خطابة وعظية ، أو بلورة فلسفية ، تبعد الفن عن طريقته وأهدافه وميدانه الخاص » .

«إن الأفلام العلمية ، حين تعرض من منظور إسلامى ، قد تكون سينما إسلامية مفيدة ، وإن الأفلام المعدة للأطفال، على تنوع موضوعاتها ، حين تعرض من منظور إسلامى ، قد تكون سينما إسلامية أيضًا ، وإن الأفلام التى تبرز « القدر » فى حياة الإنسان أو الكون من منظور إسلامى ، قد تكون سينما إسلامية أيضًا ، إن المجالات

والموضوعات واسعة حقًا ، بقدر ما هو التصور الإسلامى واسع وملتزم ، بقدر ما الفن الإسلامى واسع وملتزم كذلك » (١) .

« وبطبيعة الحال فإن الأمر لا يعنى مطلقًا أن نحوِّل الفن إلى مجموعة من النصائح المباشرة أو الوعظيات والخطب ، فالفن تعبير غير مباشر،وله مواصفاته وقواعده ، ونحن لا نطالب بهدم هذه القواعد أو النيل منها ، وإنما نركز على المضامين الفكرية فيه، وعلى الإيحاءات والتأثيرات الوجدانية التى يخلفها فى نفس المتلقى ، وعلى صور الأحداث المتراكمة المعقدة ، التى لا بد أن تهدف إلى شىء أعمق وأعظم ، حتى ينشأ جيل جديد يدرك معنى الحرية الحقيقية ، والحب النظيف ، والجهاد الشريف فى قلب معركة الحياة والوصول إلى الأهداف النبيلة ، بالوسائل المشروعة .

إن وجهة النظر الإسلامية بالنسبة للفنون ليست قاصرة ولا جامدة ، وليس هناك عداء بين الفن الصادق وبين الدين ، بشرط أن يعرف الفن مكانته بالنسبة للدين ، فالفن وسيلة أو دعوة لقيم الخير والحب والجمال والسمو بروح الإنسان وفكره وغرائزه ، الفن ليس هدفًا فى حد ذاته ،ولكنه أداة لصنع الإنسان القوى الحر المجاهد ، الإنسان المنطلق فى أنحاء الأرض يكتشف ويعمر ويدافع عن القيم النبيلة ، ويحمى شرف المخلوقات، ويذود الظلم عن المظلومين ، ويخوض « معركة » السلام النفسى والاجتماعى والعالمى، حتى يكون لدينا عالم يسوده الرخاء والإخاء والمحبة .

من هنا نرى أنه لا صحة لما يقال عن وجود فجوة سحيقة بين الفن والدين ،مادام الفن ـ من خلال التصور الإسلامى ـ يخدم قضية الدين ،ويعمل جنديًا مخلصًا أمينًا تحت لوائه ، وداعية صادقًا فى ظله يتشرب قيمه وآدابه ، ولا شك أن رداء «الإسلامية» الذى يتزيا به الفن يعتبر شرفًا ما بعده شرف ، ومجدًا لا يدانيه مجد ، وما أحوجنا إلى طائفة من رواد الفن الإسلاميين مزوَّدين بأحدث الأشكال الفنية ؛ كى يضعوا البديل لتلك الترهات والأوهام ،التى أفسدت معظم الفنون والآداب العالمية » (٢) .

---

(١) محمد وليد جداع : مرجع سابق ، ص ٦٥ ـ ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) د . نجيب الكيلانى : مرجع سابق ، ص ٣٣ ـ ٣٥

## مواصفات الفنان المسلم

إذا سلمنا بضرورة قيام سينما إسلامية، وسلمنا ـ وهو الأهم ـ بأن السينما مجرد أداة، وأن المهم هو الإنسان الذى يقف وراءها ، فإن من البساطة أن نقرر الآن أن الأجدر بصناعة السينما الإسلامية هو الإنسان المسلم الفنان .

إن المسلم الذى يتفهم الإسلام وتصوراته ، ويعيش بروحية الإسلام ومنهجه ، ويدرك آفاق الإسلام وأبعاده ، هو الأقدر على تقديم الإسلام ، فى كل مجال ، وفى السينما بوجه خاص ، إن السينما باعتبارها فنًا إسلاميًا ، تحتاج إلى الفنان المسلم .

يقول الأستاذ محمد قطب ـ فى كتابه منهج الفن الإسلامى : « والفن الإسلامى ينبغى أن يصدر عن فنان مسلم ، أى عن إنسان تكيفت نفسه ذلك التكيف الخاص ، الذى يعطيها حساسية شعورية تجاه الكون والحياة والواقع ـ بمعناه الكبير ـ وزود بالقدرة على جمال التعبير ، وهو فى الوقت ذاته إنسان يتلقى الحياة كلها من خلال التصور الإسلامى ، وينفعل بها ويعانيها من خلال هذا التصور ، ثم ( يقص ) علينا هذه التجربة الخاصة التى عاناها فى صورة جميلة موحية » .

والحقيقة أن هذه بدهية إنسانية ، فالإنسان الذى يعيش فكرًا معينًا ، وتجربة شعورية معينة، يتعامل معها وينفعل بها، هو الأقدر غالبًا على التعبير عن هذا الفكر وهذه التجربة، وهو أمر يؤكده الناقد السينمائى حسان أبو غنيمة حين يتحدث عن ( المعايشة ) ضمن دعوته إلى ( تعامل إسلامى . . مع السينما وفروعها ) . يقول [1] :

« . . . كما أن استغلال هذا الشعور الدينى عند الجماهير ، دون إيمان حقيقى بالإسلام ، وبالمفاهيم الحضارية التى يحملها ، ودون قناعة تامة من جانب العاملين فى مثل هذه الأفلام ، هو أيضًا أمر لا يجب النظر إليه باستهانة » .

إن النظريات السينمائية الحديثة التى تؤكد على دور « المعايشة » وأهميتها فى نقل الوقائع بكل صدق ووضوح ، بما يضمن الإقناع والفائدة ، ليست مجرد نظريات تقال

---

(١) نقلا عن : محمد وليد جداع : مرجع سابق ، ص ٧٤ ـ ٧٦ .

فحسب ، وإنما هى أسس النجاح لأى تجربة سينمائية جادة ، ومن هنا فإنه يصبح لزامًا علينا التخطيط لتعامل إسلامى مع السينما ، ليس فقط فى حدود النظرية ، وإنما أيضًا على صعيد التطبيق ، ضمن فروع الفن السينمائى كافة ، بدءًا من الكتابة ومرورًا بالإخراج والتصوير والمونتاج والتمثيل والأداء والموسيقى وفروعها والديكور ، وانتهاء حتى على صعيد التكنولوجيا السينمائية ذاتها » .

إن مسألة الفنان المسلم فى صناعة السينما الإسلامية، تنطوى على ضخامة المهمة المطلوبة،ولاسيما لتعدد عناصر السينما ومفرداتها ،فنحن إذن بحاجة إلى المؤلف المسلم، وكاتب السيناريو المسلم ، والمونتير المسلم ، والتقنى المسلم ، وفنان الديكور المسلم ، وهى احتياجات كثيرة ودقيقة ، لا يمكن الحصول عليها إلا بإعداد وتخطيط مسبقين، وعلى الأمد البعيد كذلك .

ولكن الفن الإسلامى ـ كما يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه « منهج الفن الإسلامى » : ليس وقفًا على المسلمين وحدهم من الفنانين ، فالتصور الفنى الإسلامى للكون والحياة والإنسان هو تصور كونى إنسانى. . . مفتوح للبشرية كلها ؛ لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان ، ويلتقى معه كذلك من حيث هو إنسان ، ومن ثم يستطيع أى إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور ، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقى وذلك التجاوب ، فيلتقى مع الفن الإسلامى بذلك المقدار».

إن الفنان المؤمن الملتزم بالإسلام فى حياته الخاصة وسيرته العامة ، هو الذى يستطيع بالوسائل المتاحة أن يقود نهضة ، وهو العملة الصعبة والنادرة اليوم ، لابد أن يكون الكاتب والفنان والمخرج من المؤمنين بالإسلام ،ومن أصحاب القدوة بحيث يراهم الناس أتقياء ورعين ، يرونهم فى المسجد ، يعتصمون بكل شعائر هذا الدين ، فتتغذى قلوبهم وأرواحهم به، ويعصمهم الدين من فتنة شيطان الفن فى فترات قل فيها الناصح الأمين ، والدليل الهادى والمناخ الصالح ، وحين يوجد هذا النوع فى واقع الحياة ، عندها تتحسن صورتهم وصورة الفن عند الناس [1] .

---

(١) محمد عبد الله الخطيب : حوار حول الدين والفن ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ص ١١ .

# تمثيل المرأة

تعد المرأة ـ وقضاياها ـ من أكثر الموضوعات حساسية فيما يتعلق بفن التمثيل ، ويتخذ « البعض » منها ذريعة أو « شماعة » لتحريم هذا الفن ، ونحسب أن هذا يرجع ـ فى جانب منه ـ إلى الواقع المرير للمرأة على شاشة السينما ، هذا الواقع الذى لا يمكن بحال أن يتفق أو يتسق مع الدور المفترض للمرأة فى ظل التصور الإسلامى .

فإذا ظهرت المرأة فى عمل فنى تمثيلى، غالبًا ما يتبادر إلى الذهن أولاً ـ تأثرًا بالواقع الفنى ـ غريزة الجنس، والعواطف المحمومة ،والحب بمفهومه الضيق ، والعشق المحرم ، والانغماس فى مستنقع اللهو واللذة الحيوانية ، وما يصاحب ذلك أو يترتب عليه من أوضاع مرفوضة .

لكن هل يعد ذلك مبررًا لـ « منع » المرأة من التمثيل ، وبالتالى منع فن التمثيل بالتبعية ؛ لأن هذا الفن من واقع الحياة ، هذا الواقع الذى يتبادل الأدوار فيه الرجل والمرأة معًا ؟!

إن المرأة يمكن أن تشارك فى الفن التمثيلى ، إذا ما توافرت لذلك بعض الضوابط التى لا أثر لها فى الواقع الفنى الحالى ، لعل من أهمها: الاحتشام فى الملبس، والكلمات النظيفة ، والأداء غير المثير ، وتجنب كل ما يخدش الحياء .

إن هنالك قضايا وأمورًا وأدوارًا فى الحياة ، لا يستساغ أن تقوم بغير المرأة ، فمن يقوم بدور الأم ، أو الزوجة ، أو الأخت ؟! لا يمكن أن يقوم الرجل بهذه الأدوار فى واقع الحياة ، وبالتالى لا يُقبل أن يقوم بها فى العمل الفنى ـ سينما أو مسرح ـ الذى يصور واقع الحياة ، إذن لا مفر من الحضور المباشر للمرأة فى العمل الفنى ، فى ظل الضوابط التى ذكرنا طرفًا منها .

لقد حرم الله ـ فى القرآن الكريم ـ الربا والخمر والميسر، وقطع الطريق ، وقتل النفس ـ بغير حق ـ وأكل مال اليتيم ، وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

فما الذى يمنع من طرح هذه الموضوعات ، وبيان آثارها السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع والأمة بأسرها ، من خلال شخصية « المرابى » الذى يستغل حاجة الناس

واضطرارهم ، و« شارب الخمر » وما يجرُّه الشرب عليه من ويلات ، و« الميسر » وما يؤدى بصاحبه إلى الفقر والفاقة والذلة ، و« قاطع الطريق » و« القاتل » وما يلحق بهما من جزاء رادع ، و« آكل مال اليتيم » وما يصيبه من كراهية المجتمع له وشعوره بالعزلة نتيجة لذلك ، و« الزانى ومرتكب الفاحشة » وما يلتصق به من عار لا يُمحى . . . إلخ .

وعلى هذا النسق يمكن تناول قضايا المرأة ـ فى ظل الضوابط المشار إليها ـ تناولاً يهدى المتلقى إلى السلوك السوى ، بعيداً عن السقوط والزلل .

**المرأة فى القرآن الكريم** [1] :

لقد كان للمرأة تواجدها فى التعبير القرآنى ، ولقد اختلف ذلك الوجود باختلاف السياق والمغزى ونمط الشخصية ، فامرأة فرعون نموذج لقوة الإرادة وصفاء القلب ، فلقد رفضت الوثنية ، ورفضت زوجها وما يدين به ، وولت وجهها إلى الله سبحانه لتحدد توجهها الدينى والإيمانى .

وتقف امرأة لوط على النقيض ، حيث خانت دعوة النبى ولم تهتد بنور النبوة وكانت حربًا عليه مع الكافرين ، وكذلك امرأة نوح .

وتتحول أم موسى إلى رمز الأم القلقة الحائرة المعذبة بفقدان الرضيع ، ويغلب عليها الفزع والخوف والاضطراب ، لولا أن تدركها رعاية الله فيتحول الخوف إلى طمأنينة والهلع إلى رضا بقضاء الله ، فيمتنع الطفل عن المراضع ليعود إلى أمه كرة أخرى ، وهى فى حال بين اليأس والرجاء .

وفى سورة مريم يظهر لنا جانب من خصائص الأنوثة ، متمثلة فى عذراء طاهرة متبتلة انقطعت عن الدنيا واتجهت إلى الله ، ثم ها هى يتملكها الرعب إذ تجد نفسها فى خلوة مع الملك ـ الرجل ، فينبثق من داخلها مشاعر التقوى .

وقصة ابنتى شعيب مع موسى عليه السلام التى وردت فى سورة القصص ، تصور عواطف الأنثى النظيفة تجاه الرجل ( عواطف الإعجاب بقوته ونبله وشهامته ، ثم أمانته المتمثلة فى محافظته عليها ) ، والفتاة تعبر عن هذه العواطف على طريقة الأنثى الحيية الخجولة .

---

(١) محمد قطب عبد العال : نظرات فى قصص القرآن ، الجزء الثانى ، رابطة العالم الإسلامى ، ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٨ بتصرف ، ثم الجزء الأول ص ٧٥ ـ ٧٨ بتصرف .

والتعبير القرآنى استطاع أن يعبر عن كل هذه العلاقات النظيفة، التى لا تنحرف ولا تسف ، لإبراز أجمل ما فى النفس البشرية من مشاعر ووجدانات ، على طريق الحياة النظيفة التى أرسى قواعدها الإسلام .

وتسبق الزواج مشاعر وأفكار وتجارب تؤهل له وتمهد له ، وهذه العواطف ليست حرام ، إنها عواطف الإعجاب والميول وما يصحبها من عمل طيب وسلوك قويم ، والحكم عليها هو الحكم الذى يستمد شرعيته من قوانين الدين وشرعه، الذى يتلاءم مع الفطرة السوية الطاهرة النقية ، إنها تهدف إلى علاقة نظيفة مثمرة منتجة ، اتساقًا مع فطرة الحياة التى خلقها الله ، والجمال هو فطرة الطبيعة ، وكل مشاعر طيبة مبرأة من الغرض فهى مشاعر جميلة ،تساهم فى حسن الأداء ، وتقويمه وتعديله وتخلصه من الهوى والجموح والشطط والسقوط .

ولقد أوفت الألفاظ بهذه المعانى جميعًا ، فعكست مشاعر الخوف والحيرة والرغبة النظيفة ، وجاءت متنامية مع الموقف ومع الحالة المصاحبة .

فلفظ : ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [ القصص:٢٥ ] يشى بما تتصف به الفتاة من عفة ونبل وطهارة، فهى جاءته تمشى مشية الفتاة الفاضلة العفيفة النظيفة؛ من تمشى على استحياء فى غير تبذل أو تبرج أو خروج عن المألوف فى الفطرة السوية ،إنه لفظ قصد إلى المعنى قصدًا فى إيجاز مشع .

ولقد جاء لفظ: ﴿ تَذُودَانِ﴾ [ القصص:٢٣ ] ليصف مشاعر الضعف والذلة والمسكنة، والتى كانت عليه حالة الفتاتين وهما ينتظران السقى ، إنهما امرأتان ضعيفتان مستورتان لا تقدران على مساجلة الرجال، ولا ترضيان لنفسيهما أن تزاحما الناس على فعل هو من عمل الرجال الأقوياء .

ويأتى اللفظ: ﴿ اسْتَأْجَرْتَ﴾ [ القصص :٢٦] ليكشف دلك الهاجس الجميل الذى تحس به الفتاة ، إنه الإعجاب بنوعين من القوة تبدت لها من موسى : القوة المادية التى ظهرت فى مزاحمته للرجال وسقايته لهما ، والقوة الخلقية التى تتبدى فى العفة والطهر ونقاء القلب والبعد عن تتبع عورات الناس ، أو إقحام البصر فيما هو مفسد .

واللفظ يظهر نفسية المرأة وتكوينها الوجدانى ؛ فالمرأة حين تعجب بأحد هذا الإعجاب النقى النظيف ، تحاول فى رقة ونبل وإيحاء أن تزينه فى عيون الآخرين ،

ومن ثم فلقد زينت ابنة شعيب فى عين أبيها موسى وزكته له .

ونظرة الإسلام إلى الجنس نظرة تنطلق من هذا الوجود الكونى كله ، إنها بنية الكون إن صح التعبير . وفى القرآن الكريم إشارات تتعلق بالجنس كحقيقة بشرية . قال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [ البقرة : ١٧٨]، فثمة التقاء وتلاصق حتى ليبدو الجسدان جسدًا واحدًا ، ولكنه التلاصق تحت جناح الستر الروحى والنفسى الذى هو وقاية من الفحش والتبذل.

والإسلام يدرك تمامًا ما يحدثه التجاذب الفطرى بين الجنسين، من مشاعر وخواطر وأفكار وسلوك ،ولكنه يقيمها بمنهجه ؛ لأن منهجه الذى يسير عليه فى معالجة النفس هو الاعتراف بالطاقات البشرية كلها ، نظيفة فى معرض النور ، لا مستقذرة ولا مختلسة فى الظلام .

ولقد تحدثت القصة القرآنية عن مجالات الجنس التى تهبط بصاحبها ، وتسفل به ، وكيف تجنح به طاقته المنحرفة إلى سبيل فاسد ، ولكن الحديث وهو يصور لحظة الهبوط لا يرتقى بها إلى الإثارة أو إحداث اللذة ، شأن ما تراه فى الأدب البشرى المائل إلى الإثارة ودغدغة العواطف ، وإنما يقصد التعبير إلى تصوير النفس البشرية فى لحظة الضعف دون تزيد ، للتنفير من تلك الفطرة المنحرفة عن منهج الله ونسق الفطرة السوى، ومن ثم فإننا قد نلحظ المواقف الجنسية والتهيؤ البشرى لها ، والصراع النفسى المشتجر فى الموقف ، والحالات الوجدانية المعبرة أدق تعبير عن الموقف ، ولكن فى موضعها من السياق العام دون إثارة أو إحداث لذاذة عاطفية،وإنما هو عرض لباطن النفس ورغباتها فى نظافة وقصد محسوم .

وتعكس قصة يوسف هذا الجانب من جوانب النفس البشرية ،حين راودت امرأة العزيز فتاها ، والقصة حين تعرض هذا الموقف لا تثير تلذذ القارئ بمشاعر منحرفة، وإنما تهدف إلى إدانة هذا اللون من المشاعر الفاسدة ، فضلاً عن إبراز جانب من جوانب الابتلاء التى واجهها يوسف عليه السلام .

وإذا ما نظرنا إلى القرآن وهو يسوق قصة يوسف عليه السلام ،نجد أن القصة تحتوى على عظات بالغة ، كما أنه يدعو بالبراهين الساطعة ـ على وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة ، ففى جزء من أجزاء القصة الرائعة ، يتواجد يوسف مع امرأة العزيز فى

موقف ، قلما ينجو منه إنسان إلا من عصم الله ، موقف يوضح صراع الخير والشر ، الجمال مع القبح ، العفة مع الابتذال .

قال تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ [ يوسف ] .

الآيات الكريمات تحكى قصة النفس البشرية حين يسيطر عليها الهوى ، ويجنح بها إلى مهوى الإثم ، إنها اللحظة التى تبدو فيها الأمور مهيأة للفعل وللسقوط فى الفحشاء ، ولدوىّ المرأة وهى تلح فى همس ونعومة ومخادعة ، فامرأة العزيز تجملت ودعته وأحكمت أسبابها ، ويوسف عليه السلام يرتجف مستعيذًا بالله من هول الفعل .

وانظر كيف يقف يوسف موقف الكرام ، الذين تجسَّدت فيهم مكارم الأخلاق جميعها . يقول يوسف : سيدتى كيف أقدم على هذا الفعل الشنيع ؟! كيف أخون سيدى ؟ كيف أنتهك عرضه الكريم وهو الذى ربانى وأحسن رعايتى ؟!

ولكن المرأة تفننت فى أساليب الإغراء ، وتوسَّلت بكل أسلحة الأنثى حتى كادت تنشب عواطفها فى قلبه ، فى قوة وتصميم ، ولكن الله حفظ يوسف وعصمه .

والآيات الكريمات تصور حالة التغير والتبدل التى تعترى المرأة فى مثل هذه المواقف إذا ما جابهتها المفاجأة ، إنها تتحول ـ وبمهارة فائقة ـ لتقلب الوضع ليصبح المظلوم ظالمًا ؛ والظالم مظلومًا ، والبرىء متهمًا ، ولكن الزوج يدرك الحقيقة فيطلب من يوسف كتمان الأمر ، ويصف ما فعلته زوجته بأنه من كيد النساء .

وهنا يتبدى لنا أن العزيز قليل الغَيرة على من أرادت خيانته وتدنيس فراشه بالإثم والفجور .

لقد قوبلت دواعى الغواية بدواعى العفاف ، مقابلة صورت من قصص المجتمع جدالاً عنيفًا بين جند الرحمن وجند الشيطان ، ووضعتهما أمام العقل المنصف فى كفتى ميزان ؟

## مفهوم الحب [1] :

### ما معنى الحب ؟

الحب هو شعور نفسى ، وإحساس قلبى ، وانبعاث وجدانى ينجذب به قلب المحب تجاه محبوبه بحماسة وعاطفة وبشر .

والحب بهذا المعنى من المشاعر الفطرية المتأصلة فى كيان الإنسان لا انفكاك منه ولا غناء عنه ، وهو قابل فى كثير من الأحيان لتحكم الإرادة فيه إلى ما هو أفضل وأسمى، إن أراد المحب أن يسلك فى حبه مسلكا كريمًا شريفًا ، وأن يعيش فى الحياة عيشة الأصفياء والأطهار ، والمتقين الأبرار .

الحب ، هذه الكلمة التى ما تكاد تذكر ، حتى تضىء جوانب النفس البشرية ، وتهزها هزًا، لتستريح على مهاد من العواطف النبيلة ، ترشها كلمة الحب بالعبير وتنثر حولها الياسمين ، فلا يرضى المحب إلا أن يغتسل بماء السماء ، بالماء الطهور ، تسكن عليه يد حانية ، ليتسامى فوق الدّيم يرف كالحلم الوضىء ، يتوضأ بالمسك ، ويضم من يحب داخل دائرة العطر ، ويحوم به عبر سحابة وردية ، لا أحلى ولا أجمل فى هذا العصر المادى الذى يكتوى بنيرانه أبناؤه ، أولئك الذين ما عرفوا للحب إلا معنى المعشوقة والسرير ، مادة فى مادة وليس بعد المادة شىء .

نسوا أن هناك ألوانًا من الحب : حب الله ، حب الرسول ﷺ ، حب الوالد والوالدة ، حب الزوجة ، حب الأبناء والبنات ، حب الأخوة والأخوات ، حب فى الله يتجاوز تخوم الصلف المادى الرعيب .

نسوا كل هذه الألوان المشرقة ، وتسللوا إلى العتمات ، حيث الحب المحرَّم ، حب المعشوقات يطفئون وقداته فى فراش وثير ، أو على قارعة الطريق ، فعل البهائم ، من شعراء الغريزة اليوم .

ومن واقعية الإسلام : أن من ابتلى بحب امرأة ، وما استطاع أن يصل إليها بعقد أو زواج ، فعليه أن يتشاغل عنها وينساها ، فإن بقيت حاضرة فى ذهنه وماثلة فى تصوره ، فعليه أن يبذل قصارى جهده ،وغاية سعيه فى ولوج طريق التسامى والاستعفاف ، عسى أن يجعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا .

---

(١) عبد الله ناصح علوان : الإسلام والحب ، دار السلام ،مواضع متفرقة بتصرف ، وعلى القاضى : مجلة الوعى الإسلامى ، عدد (٣٣٥) ، ص ١٦ ـ ١٨ بتصرف .

أما العاشق الذى لا يتحلى بالعفة، ولا يتسامى عن الحرام، ولا يصبر على المصيبة ، فما أراه إلا واجًا طريق الغواية ، وسالكًا سبيل الفاحشة ، وسادرًا فى متاهات الهواجس والأفكار ، وربما قتل نفسه فانتحر ، أو قتل غيره فشقى وفجر ، أو توغل فى الفاحشة فشذ وانحرف ، أو أضناه السقام فعجز وقعد .

تزوج عبد الله بن أبى بكر رضي الله عنه « عاتكة بنت زيد »، وكانت حسناء جميلة ذات خلق بالغ وأدب رفيع، فشغلته عن مغازيه وجهاده ، فأمره أبوه الصديق بطلاقها، وقال معللاً: « إنها شغلتك عن مغازيك فطلقها »، فطلقها عبد الله، فمر به أبوه وهو ينشد :

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها فى غير ذنب تطلّق

لها خلق جزل ورأى ومنصب ... على كبر منى وإنى لوامق

فرقَّ له أبوه فأمره أن يراجعها، فراجعها ، ثم شهد مع النبى ﷺ غزوة بالطائف فأصابه سهم ، فمات بعده بالمدينة رضي الله عنه .

يأخذ الحب مساحة كبيرة فى الثقافة الغربية ، ويكاد يقتصر على الصلة الخاصة بين الرجل والمرأة ، وقد توسعوا فيه فشمل جميع النواحى ، وساعد على نشر هذه المفاهيم أجهزة الإعلام بكل أنواعها ، حتى تحوّل الحب إلى تجارة تربح المليارات ، وانتشرت المثيرات الخارجية التى تخصصت فى ذلك ؛ مثل بيوت الأزياء العالمية والمجلات الجنسية والأفلام التى دمرت القيم والحياة ، ووضعت العقبات أمام الشباب فى الزواج المبكر، ووجد الفراغ الفكرى والعقلى وضعفت الأسرة ، وزادت مثيرات الجنس والمال الذى يدفع الشباب إلى الهجرة ، وعجزت منتديات الشباب عن أداء دورها .

وقد لاحظ ذلك الطبيب الإنجليزى ترومان مل بريل ( مدير مستشفى لندن النفسى ) فقال :

« لعل أغرب تجارة كسب منها التجار الآلوف من الملايين : تجارة الحب ونجارة السينما ونحوها ، لقد ساعدوا فى إفساد عواطف هذا الجيل من الشباب الذى ولد بعد الحرب ، وقالوا له : إن الحب جميل وساحر ، وأصبحت كلمة الحب صورة خيالية لا يستطيع الإنسان أن يصل إليها ، فيعجز عن ممارسة الحب وعن الرضا العاطفى ، وذلك يختلف عن أفكاره؛ لأن الواقع يصدمها » .

وقد وردت كلمة الحب فى القرآن الكريم (٨٨) مرة ، لم يرد فيها الحب الخاص

بالصلة بين الرجل والمرأة إلا مرة واحدة ؛ وذلك فى قوله تعالى فى سورة يوسف : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)﴾ [يوسف] .

أما ماعدا ذلك فقد ذكر القرآن الكريم الذين يحبهم الله والذين لا يحبهم، ونحو ذلك من المعانى التى تبنى المجتمعات البناء السليم، وتحقق وظيفة الإنسان على الأرض، فالذين يحبهم الله تعالى هم الذين يطيعونه ويسيرون على منهاجه، والذين لا يحبهم هم الذين لا يسيرون على طريق الاستقامة فيؤثرون تأثيرًا سلبيًا فى هذه الحياة .

ومن آيات القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ [ البقرة ]، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾ [ آل عمران ] ، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [ التوبة ]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ [الصف : ٤] .

ومن آيات القرآن الكريم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [ النساء ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) ﴾ [ المائدة ] ، ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [ الأعراف ] ، ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ [ البقرة ] .

الحب لله تعالى هو حب الطاعة، والانقياد لكل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية، والالتزام بمنهج الله تعالى والسير على رضاه ، يقول النبى ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به » [ الطبرانى ، والبيهقى ] .

ويقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة :١٦٥]، وقد طلب الله تعالى من نبيه أن يقول للمؤمنين: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

فليس الحب كلمة تقال ، وإنما هى عاطفة واتجاه وطاعة وسلوك .

وقد تنبهت إلى ذلك رابعة العدوية فقالت :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى الفعال بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وحتى فى الحب الذى يكون بين الرجل والمرأة ، يتقدم حب الله سبحانه عليه فلا

يفعل المسلم ما يغضب الله ، فهذا عبد الله القس ؛ الذى كان يعيش فى بغداد أيام الدولة العباسية ، وكان يحب سلامة حبًا ملك عليه فؤاده وعقله، حتى أطلقوا عليها : سلامة القس ؛ لاشتهار هذا الحب فى المجتمع،يلتقى مرة بمحبوبته سلامة فقالت له : إنى أحبك ، فقال: وأنا والله الذى لا إله إلا هو،قالت :وأشتهى أن أضع فمى على فمك ، فقال : وأنا، والله الذى لا إله إلا هو،قالت فما يمنعك،فوالله إن المكان لخال. فقال: يمنعنى قوله تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [ الزخرف ]، وأخشى أن تتحول مودتى لك إلى عداوة يوم القيامة ، ثم انصرف ولم يرها بعد ذلك أبدًا .

وهكذا نرى الحب فى الثقافة الإسلامية ، هو حب بناء لا حب هدم ، بينما الحب فى الثقافة الغربية حب هدم لا حب بناء ، ولذلك فقد طلب د . بريل منع وسائل الدعاية من نشر المفاهيم الغربية للحب ،لخطورتها على المجتمع، ثم طلب أن يعرف المجتمع ـ صاحب الثقافة الغربية ـ الحبَّ ، وأن يقتنع بالتعامل معه كعاطفة إنسانية طاهرة .

# نحو مسرح إسلامى

**المسرح**: المعنى الواسع لهذه الكلمة هو شكل من أشكال التعبير الفنى عن المشاعر والأحاسيس والأفكار، ووسيلته فى ذلك فن الكلام،وفن الحركة ، مع الاستعانة بمؤثرات أخرى كالرسم « والديكور » والإضاءة والملابس و« الماكياج » ، ورغم الكتابات الكثيرة حول المسرح بمختلف اللغات ، فلا يوجد تعريف شامل ، فله أكثر من تصور ، وهو عمومًا: وسيلة وأداة يمكن توجيهها إلى طريق الخير ، أو إلى طريق الشر ، فضلاً عن أنه وسيلة تربوية وتعليمية .

وقد عرف العرب ما يشبه المسرح ، وإذا مررنا على الطقوس الاجتماعية والدينية للعرب قبل الإسلام ـ والتى لم تتطور إلى فن مسرحى كما حدث فى الأمم الأخرى ـ سنجد أنها قريبة من فن المسرح ، بل إننا نجد ثمة إشارات واضحة على أن المسلمين فى عهد الخلافة العباسية ، قد عرفوا شكلاً من الأشكال المسرحية المعترف بها ، وهو مسرح « خيال الظل » ، فقد ورد فى كتاب « الديارات » للشابشتى أن الشاعر « دعبل » هدد ابنًا لأحد طباخى المأمون بأنه سيهجوه ، فرد الابن بدوره قائلاً : « والله إن فعلت لأخرجن أمك فى الخيال »، أى أنه أنذره بأنه سيوحى إلى أحد فنانى المخايلة بإظهار صورة أم دعبل بين الصور الأخرى ، التى كان يلعب بها أمام متفرجيه ، يظهرها بمظهر يدعو طبعًا إلى السخرية (١) .

وفى الحقيقة إذا تطرقنا إلى الواقع المسرحى الحالى ـ فى الغالب الأعم ـ فلن نطيل الحديث؛ لأن شأنه شأن الواقع السينمائى الذى عرضنا له فيما سبق بشىء من التفصيل .

فالمسرحيات الحالية هى مجرد أسلوب فكاهى يستجدى الضحك للضحك ، ودغدغة المشاعر والشهوات؛ لأنها هدفت إلى الربح والكسب المادى على حساب الأخلاقيات والذوق العام،وقد أدى ذلك وأفضى إلى تهميش دور المسرح الحقيقى فى الإسهام بإعداد وتثقيف وتربية المجتمعات والأجيال ، وفقًا لمبادئ وأسس سليمة .

لقد أصبحت النصوص المسرحية لا تخاطب ـ غالبًا ـ سوى الغرائز ، بل إن الممثلين

(١) د . على الراعى : مجلة العربى ، عدد (٢٢٢٥) ، أغسطس ١٩٧٥م .

يخرجون كثيرًا عن النص المكتوب ، ويأتون بألفاظ تخدش الحياء العام ، وتحمل إيحاءات جنسية فجَّة .

إن نجمًا مسرحيًا مثل « محمد صبحى » ـ فى إحدى المسرحيات ـ كان ينام عند قدمى إحدى الممثلات ، ويطلب مفتاحًا برقم صغير ، ثم ما يلبث أن يطلب مفتاحًا أكبر ، ثم عندما يتأمل أكثر يطلب مفتاحًا أكبر !!

من أجل هذا كله كان واجبًا على المسرحيين ـ خاصة ذوى الغيرة على الدين ـ أن يحددوا منهجًا واضحًا ، وأن يصوغوا أسلوبًا إسلاميًا ، يساعدان على قيام مسرح إسلامى ، يكون مدرسة تربوية نسمع من خلالها الكلمة الطيبة .

وليس بالضرورة لكى يكون المسرح إسلاميًا أن يتناول التاريخ الإسلامى بموضوعاته وشخصياته ، فالمسرح الإسلامى هو مجموعة من القيم والمبادئ ، وكل مسرحية يكون مضمونها على هذا النحو الذى يحض على السلوك القويم ، فهذه مسرحية إسلامية ، ومناقشة الواقع الإسلامى المعاصر بمختلف قضاياه ومشكلاته ، ومعالجة ذلك مسرحيًا ، من خلال المنظور الإسلامى ، فهذا مسرح إسلامى .

وهذا الهدف ـ هدف المسرح الإسلامى ـ يتطلب منا تحديد نوعية الكاتب والممثل والمخرج المسرحى ، بحيث يكون فنهم ليس بخارج عن التصور الإسلامى للإنسان والكون والحياة .

لذلك يتعين على مختلف الهيئات الإسلامية أن تتضافر جهودها فى سبيل إنشاء هذا المسرح المنشود ؛ ذلك لأن الجهود الفردية المتناثرة فى هذا المجال لن تستطيع وحدها تحقيق وجود هذا المسرح المأمول ، أما إذا تضافرت الجهود المخلصة فنيًا وإداريا وماديًا ، إذا تحقق ذلك ، يمكن أن نرى مسرحًا إسلاميًا .

## التليفزيون وأثره

يعد التليفزيون من أحدث الوسائل الإعلامية ، فقد كانت أول تجربة لاختراع هذا الجهاز على يد المخترع الإنجليزى « جون لويجى بيرد »، أمام جمع من العلماء فى المعهد الملكى بلندن ، بتاريخ ٢٧ من يناير عام ١٩٢٦م ، إلا أنه لم يبدأ فى الانتشار والازدهار إلا بعد منتصف هذا القرن ، ولم تعرفه منطقتنا العربية إلا فى الستينيات ، ولم ينتشر فيها إلا فى السبعينيات .

ففى عام ١٩٧٠م ـ وفق إحصائيات اليونسكو ـ كان عدد أجهزة التليفزيون فى العالم (٢٩٨) مليون جهاز ، تتوزع بين الدول النامية بنسبة ٨,٤ ٪ بواقع (١٠) أجهزة لكل ألف شخص ، وبين الدول المتقدمة بنسبة٩١,٤ بواقع (٢٥٩) جهازًا لكل ألف شخص ، أما فى عام ١٩٨٩م فقد ارتفع عدد أجهزة التليفزيون إلى (٧٩٧) مليون جهاز فى العالم، توزعت بين الدول النامية بنسبة ٢٥,٧٢٪ بواقع (٥٢) جهازًا لكل ألف شخص من السكان ، وبين الدول المتقدمة بنسبة ٧٤,٢٨٪ بواقع (٤٨٩) جهازًا لكل ألف شخص من السكان .

وفى مصر تحديدًا تشير الإحصائيات التى أجريت عام ١٩٧٠م إلى وجود ٤٧٥ ألف جهاز تليفزيون ، أى بواقع جهاز واحد لكل ٦٠ شخصًا ، إلا أن هذا الرقم قد تضاعف بدرجة مذهلة إلى عشرة أضعاف فى التسعينيات ، حيث أصبح عدد الأجهزة أكثر من عشرة ملايين جهاز ، بواقع جهاز لكل ستة مواطنين فقط ، حيث اقتحم هذا الجهاز كل بيت ، وأصبح أمرًا لازمًا فى جهاز أى عروسين ، بل إن بعض البيوت بها أكثر من جهاز ؛ فى غرفة الاستقبال ، وغرفة النوم ، وغرفة المكتب ، وغرفة الأطفال ، بل نجده فى المحلات التجارية والأكشاك ولدى بائعى الفاكهة والخضراوات فى الأسواق !!

مما سبق من إحصائيات يتبين لنا ما يمكن أن يكون لجهاز التليفزيون من تأثير فى مختلف قطاعات المجتمع المسلم،فهو يجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون، وهو بهذه الخواص قد أحدث انقلابًا فى المفاهيم والأفكار والثقافات والقيم والأخلاق ، وهو من حيث كونه أداة ـ كغيره من الأدوات الإعلامية الأخرى ـ يمكن أن يُوجه إلى الخير أو

إلى الشر، فهو كعود الثقاب تستطيع أن تشعل به الحرائق وتخرب به المجتمع ، كما تستطيع أن تولّد به طاقة هائلة ، تساهم في بث الحياة النابعة من التصور الإسلامى لها.

وتزيد أهمية هذا الجهاز وخطورته فى أنه يخاطب كافة فئات المجتمع ، بخلاف الأدوات الإعلامية الأخرى التى لا تتمتع بمثل هذه الصفة ، كالكتاب والصحيفة ، بل والسينما والمسرح اللذين يتطلبان مالاً للدخول والمشاهدة ، عكس التليفزيون ، فهو فى البيت ولن يتكلف المرء شيئًا لمشاهدته ، والتليفزيون يخاطب أكثر من ٥٠٪ من مجموع سكان مصر الأميين ـ ونقيس العالم العربى ذلك ـ ويعمل على تشكيل عقولهم ونظرتهم إلى الحياة ، وهذا يسوقنا إلى ما يلى :

**التليفزيون والقراءة :**

لو اطلعنا على إنتاج الكتب فى مصر ـ التى تعد منارة الثقافة العربية ـ نقرأ ما يلى: فى عام ١٩٧٠م كان عدد عناوين الكتب الجديدة الصادرة (٢١٤٢) عنوانا ، وفى عام ١٩٨٠م انخفض إلى( ١٦٨٠ )، وفى عام ١٩٩٢م زاد الانخفاض إلى (١٥٤١) !!

وأبرز ما نلاحظه فى هذا الإحصاء التعاقبى ، هو التراجع الكبير فى إنتاج الكتاب الجديد فى مصر ، فالعناوين الجديدة التى بلغت (٢١٤٢) عنوانًا مطلع السبعينيات وقت بدء انتشار التليفزيون ، تراجعت بعد عشر سنوات إلى(١٦٨٠) عنوانًا مع مطلع الثمانينيات، وها هى تشهد تراجعًا آخر يصل بها إلى( ١٤٥١) عنوانا جديدًا فقط فى بداية الستعينيات ، أى أن هذا التراجع فى إنتاج الكتب خلال عقدين بلغ ٣٢ ٪ أى نسبة الثلث ، مع أنه كان من المفروض أن يزيد بنسبة ١٠٠٪ ، أى بنسبة الضعف؛ نظرًا لتضاعف نسبة عدد السكان فى مصر خلال هذه الفترة ، فضلاً عن انتشار التعليم الأساسى .

ومصر فى هذا نموذج يصدق على المنطقة العربية من لبنان إلى الصومال ، حيث لم يتعدَّ إنتاج العالم العربى من الكتب عام ١٩٨٩م ( ٧ ٪ ) من الإنتاج العالمى ، حيث صدر فى العالم العربى ـ كما ورد فى تقرير لليونسكو ـ أن الكتب العربية الصادرة عام ١٩٦٥م بلغت (٥١٩٩) كتابًا عام ١٩٦٥م وقت بدء انتشار التليفزيون، انخفضت بنسبة تزيد على ٤٠ ٪ من الإنتاج عام ١٩٨١م حيث بلغت ( ٢٨٥٠) كتابًا !!

إذا عقدنا مقارنة بين انتشار كل من الكتاب والتليفزيون ، نلحظ التراجع الكبير فى

إنتاج الكتاب ، يتزامن ذلك مع انتشار كبير لجهاز التليفزيون ، حيث تزحف المشاهدة التليفزيونية بسرعة فائقة ، وتتراجع عادة القراءة والمطالعة ، ويقل نتيجة لذلك الإبداع والابتكار ؛ لأن القراءة كعادة ثقافية هى تمرين لعقل الإنسان ، فى حين أن المشاهدة التليفزيونية هى دغدغة للحواس أساسا ، فالمسافة المعرفية كبيرة بين مصدر الثقافة التليفزيونية ، ومصدر الثقافة الكتابية .

## نموذج القدوة فى التليفزيون :

نموذج القدوة من أهم الصور الذهنية التى يمكن أن يقدمه التليفزيون بالنسبة لطفل ، فإذا ما تم حُسن اختيارها كانت آثارها إيجابية ، وإذا ما أسىء الاختيار كانت آثارها سلبية .

فالتليفزيون يعتبر أحد العوامل الهامة ـ إلى جانب الأسرة والمدرسة ـ فى تنمية الطفل وتنشئته الاجتماعية والأخلاقية والدينية .

ونماذج القدوة يمكن أن تكون نماذج إيجابية ، ويمكن أن تكون نماذج سلبية ، فمنها المقبول ، ومنها المرفوض .

فنموذج الرجل الخارق للعادة ، أو « السوبرمان » التى تحفل به برامج الأطفال فى التليفزيون ، نموذج مرفوض ؛ لأنه يستخدم فى القتل والدمار وغرس قيم لا يقبلها المجتمع ، ومن ذلك ما يقدم فى التليفزيون المصرى من برامج عديدة لا تحسن اختيار المادة المقدمة ، وربما تلجأ للترجمة غير السليمة التى لا تنقل السياق التربوى والفنى للنموذج المنشود تقديمه للأطفال ، بل قد تؤدى إلى تصوير العنف تصويرًا مبهرًا ، وغرس قيم مادية لا تتناسب مع مقومات المجتمع المصرى والعربى [1] .

وفى إطار الندوات التى ينظمها مهرجان سينما الطفل الثالث بالقاهرة ، أقيمت ندوة توظيف التراث الشعبى فى سينما الطفل ، وشارك فيها مجموعة من المتخصصين والخبراء ، حيث وجهوا انتقادات حادة للأفلام والمسلسلات الأجنبية التى تقدمها التليفزيونات العربية لأطفالنا ، حيث إن أبطالها ، مثل « توم وجيرى » يرسخون أساليب مدمرة فى عقول أطفالنا باستخدام العنف والخداع ، بخلاف أبطال الحكايات الشعبية العربية الذين يحملون قيمًا إيجابية ، ومن ذلك كتاب الدميرى « حياة الحيوان » الذى ضم مادة خصبة يمكن توظيفها ـ وغيرها من التراث العربى والإسلامى ـ فى برامج الأطفال [2] .

وقد تبين من دراسة علمية تحليلية على المضمون الأجنبى المذاع فى التليفزيون

---

(١) د . سامية أحمد على : نماذج القدوة فى برامج التليفزيون ، هيئة الكتاب ، ص ٢٨ .

(٢) صحيفة صوت الكويت : بتاريخ ٩ / ٩ / ١٩٩٢م .

المصرى : أن القيم السلبية تشكل( ٤٦,٧٪) من مجموع القيم التى عكسها هذا المضمون ، حيث يركز على دور الفرد بصفة أساسية ، دون النظر إلى المجموع ، وتستخدم القوة والعنف كوسيلة لحل الصراع ، وتزداد خطورة هذا المضمون على المشاهدين خاصة الأطفال،حيث تركز على جوانب العنف والجريمة ، ويروج لجوانب الانحراف الخلقى ، ويبرز ضعف الروابط الأسرية وانفصال الآباء عن الأبناء [١] . ومن ذلك يتبين لنا بوضوح مدى أهمية نماذج القدوة فى البرامج التليفزيونية ، خاصة تلك الموجهة للأطفال ، فى إطار التنشئة الاجتماعية والأخلاقية .

## التليفزيون والحجاب :

غنى عن البيان أن المسؤولين فى مبنى التليفزيون يقفون موقفًا رافضًا وعنيدًا من الحجاب؛ الذى فرضه الله تعالى من فوق سبع سموات ، يتجلى ذلك واضحًا فى مذيعات معروفات للقاصى والدانى ،تم إبعادهن لا لجريمة ارتكبنها ، أو رشوة أخذنها ، بل ـ ويالليهول ـ لأنهن ارتدين الحجاب ، ومنهن : المذيعة عفاف عبد الرازق ، التى كانت تقدم برنامجًا جماهيريًا ناجحًا ؛ هو « مجلة التليفزيون » ، وكذلك المذيعة ـ والممثلة المعتزلة ـ منى جبر ، ومذيعتا برامج الأطفال الشهيرتان : كاميليا العربى ـ شقيقة الممثل المعتزل محمد العربى ـ وعفاف الهلاوى ، التى كانت تقدم برنامجًا شهيرًا هو «سينما الأطفال » .

وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن موقف القيادات الإعلامية فى مصر ـ التى ينص دستورها الرسمى فى مادته الثانية على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، والشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيس للتشريع ـ من هذا التحدى الخطير لأصل أصيل من أصول الدين ، ولمظهر هام من مظاهر التدين ؟!

فإلى متى يبقى المسؤولون فى التليفزيون بمعزل عن واقع المجتمع المصرى ،هذا المجتمع الذى اتجهت الغالبية الساحقة إلى الحجاب الذى فرضه الله ؟!

## البرامج الدينية :

البرامج الدينية التى تعرض فى التليفزيون ـ رغم كونها ليست على المستوى المطلوب من حيث: الإعداد والتقديم والإمكانات، وتناول الموضوعات الأكثر أهمية وأولوية ـ

---

(١) عدلى سيد رضا : تدفق البرامج من الخارج عبر تليفزيون مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة فى كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، نقلاً عن : مجلة الوعى الإسلامى ، عدد (٣٤١) ص ٦٧ .

فإنها تُعرض فى أوقات ميتة ، بحيث لا يستطيع معظم الناس متابعتها ، حيث تعرض معظمها فى فترة الظهيرة ، وهى فترة ينشغل الناس فيها بالعمل ، ويكون الأطفال فى المدارس ، والشباب فى الجامعات ، وربات البيوت ينهمكن فى إعداد طعام الغذاء ، هذا هو الغالب ، فمن يشاهد هذه البرامج ؟!

فضلا عن ذلك فإن المؤسف حقًا هو أن هذه البرامج الدينية التى يبثها التليفزيون المصرى ، لا تشغل سوى من ٥ ـ ٦ ٪ من مساحة ما يعرض على شاشته ، وذلك باعتراف المسؤولين بالتليفزيون فى الإحصائيات الرسمية السنوية عن التوزيع الموضوعى للبرامج والموضوعات المختلفة .

وفى عصر القنوات المتخصصة ، نتساءل عن مدى استجابة القيادات الإعلامية إلى نداءات الأزهر الشريف وجامعته ، وتوصيات العديد من الندوات والدراسات ، بالمطالبة بـ « قناة دينية » على غرار إذاعة القرآن الكريم .

وفى الحقيقة ، فإن هذه القناة تمثل مطلبًا ملحًا فى ظل الظروف والأحداث الراهنة التى تمر بها مصر والمنطقة العربية والعالم الإسلامى ، وهذه القناة إذا كتب لها أن ترى النور يمكن أن تكون صورة مُشْرقة ، مشرِّفة لمصر الإسلامية وستكون منافسة قوية لجميع القنوات الفضائية .

وإذا كانت الدولة ـ على لسان المسؤولين فيها ـ تضج بالشكوى من آن لآخر من شيوع ظاهرة التطرف فى الدين ، والانحراف عن الدين أيضا ، فإنه يمكن عن طريق هذه القناة ترشيد أفكار الشباب ، هذا فضلاً عن تناولها لقضايا الدعوة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، والأقليات الإسلامية فى العالم .